



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة-



كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة: اللغة والأدب العربي
التخصص: تحليل خطاب

المسكوت عنه في رواية العربي الأخير لواسيني الأعرج

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر
تخصص: تحليل خطاب

إشراف الدكتور:
يوسف الأطرش

إعداد الطالبة:
منشارة فضيلة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د. عبد الحميد ختالة	أستاذ محاضر - أ.	عباس لغرور - خنشلة-	رئيسا
د. يوسف الأطرش	أستاذ التعليم العالي	عباس لغرور - خنشلة-	مشرفا و مقررا
أ. قشيش الهاشمي	أستاذ مساعد - أ.	عباس لغرور - خنشلة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016***2017

إهداء

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله
وصحبه الطاهرين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين
إلى من نفخ في صدورنا الحياة وزرع في قلوبنا حب البقاء وما البقاء إلا الله عز
وجل أما بعد
الحمد لله نعمه حمدا كثيرا ونشكره شكرا وفيرا هو الذي هدانا وزان دربنا بنور
رحمته وعنايته لإخراج ثمرة تعبنا من الظلام.
إلى نبراسي في الحياة ونور دربي ومنارة موهوبة من العلى
أبي الغالي،
ومنارة الحب ومنبع الأمانى والحنان
أمي الغالية
وإلى أبي الثاني وأخي الغالي "محمد الصالح"
أهدي عصارة جهدي وثواب عملي المتواضع
وإلى كل الإخوة والأخوات
خاصة عبد الحليم
ونصر الدين ونجيب
وإلى كل أحفاد وبراعم العائلة
وكل الأحباب والأصدقاء دون استثناء.

فضيلة



مقدمة



تعتبر الكتابة بصمة الإنسان التي أثبت بها وجوده في الحضارات القديمة، ولا تزال بصمته التي يثبت بها ذاته في الحاضر والمستقبل، والتي جسدها بالشعر الذي يعد ديوان العرب منذ القدم، إلا أنه بتعدد الحياة أقر بعجزه، فظهرت أجناس أخرى من شعر حديث ومسرح وغيرها، والتي سعت إلى احتواء هذا الإنسان، ولكنها وجدت هي الأخرى نفسها مقيدة وغير قادرة على حمل انشغالات الحياة، إلى أن بزغ فجر فن جديد والموسوم بفن الرواية، التي تعتبر العالم السحري الجميل بلغتها وأحداثها وطرحها، مما جعلها ديوان العصر وسيدة الفنون الأدبية، وأكثرها تعانقا وتحالفا مع أجناس مختلفة، قصد اكتمال اللوحة الفنية التي خطها الفنان بريشة الحرف العربي، والتي تأخذ لنفسها عددا من الأوجه، وهو ما أدى إلى تعدد ألوانها وأطيافها وتوجهاتها، لكونها القادرة على تفجير سيل ما سكنت عنه الفنون الأخرى، من خلال تسييج وإعادة تكييف الأحداث الواقعية والمتخيلة، وتمثيل المرجعيات الثقافية والتعبير عن الرؤى والمواقف الرمزية، إذ لم تعد نصا خاملا لأنها وضعت نفسها في خضم التوتر الثقافي العام، فأصبح العالم برمته موضوعها وشغلها الشاغل، باعتبار السرد هو الوسيلة التي تتيح الفرصة في التعبير عن النفس والغير بوعي يوحى بثناء التجربة ونضج الرؤية لدى الروائي كما يقول: "إدوارد سعيد" العالم والأمم بأكملها تتشكل من "سرديات ومرويات".

حيث سعى النقد إلى التعامل مع هذه الإنتاجات الأدبية، بالتقصي لحيثياتها واقتحام العوالم التي تخفي بين جوانحها مغامرات عدة، وبناءً عليه أسهمنا بدورنا في إضاءة نص روائي وقع اختياري عليه وهو رواية " حكاية العربي الأخير " لتكون موضوعا للدراسة، باعتبار أن واسيني الأعرج يمثل إحدى البصمات الفريدة من نوعها في الخلق والإبداع، والتي دخلت ألبوم الأدب بجدارية وحملت شعار الأعمال الخالدة والتميزة. ومن ثم كانت رغبتنا كبيرة في الوقوف على أدبه، الذي يحظى بعناية بالغة من طرف الدارسين عامة والجزائريين خاصة، إذ لا يكاد الروائي يصدر إنتاجا إلا وتهافت عليه الدارسون والنقاد، وكل حسب موضعه ومجاله، وتكمن أهمية هذه المدونة في كونها جاءت كصرخة مدوية لإيقاظ

الحكام من غفلتهم، فجسدت التخاذل الذي كان سببا في أزمات العالم العربي، والصراع العالمي الذي يستحق الوقوف أمامه بتمعن، كما أن الصيغة التي يحملها موضوع دراستنا " المسكوت عنه في رواية حكاية العربي الأخير " وعلى الرغم من كونه حقلا ملغما، إلا أن الأهمية تكمن في رغبتنا الكبيرة في كشف النص الغائب وراء النص الحاضر، وتسليط الضوء على تجليات المسكوت عنه والمغيب والمقموع الوارد في الرواية، وكيف تم استعماله؟ وكذا الغاية المرجوة من استعماله وتوظيفه في تجسيد وتصوير الكيانات العربية المتهاوية والسياسة الفاسدة المنخورة بالخلافات والمساعي العالمية..؟

ومن هنا كانت البداية وكان الاختيار، وما يتطلب الإجابة على بعض الأسئلة أهمها: لماذا المسكوت عنه؟ وما المسكوت عنه؟ ولماذا هذه المدونة؟ وهل التابو تجلى من خلال التلميح أو التصريح؟

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي والبنوي؛ يظهر الأول في التتبع التاريخي للمصطلحات المتطرق إليها، والثاني في تفكيك البنيات التي ينهض عليها هيكل الرواية.

وكان المصدر الأم المعتمد في هذه الدراسة هو نتاج الروائي "واسيني الأعرج"، وفي المقابل استقت من بعض المصادر والمراجع أهمها: "الرواية العربية ورهان التجديد لمحمد برادة، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية لدنيس كوش، الايديولوجيا والمنازعات والسلطة لأنصار بيبير، خيانة المثقفين لإدوارد سعيد، والقبيلة تستجوب القتيلة لغادة السمان، والتابوهات المقدسة لمصطفى عمر الفاروق، نقد المجتمع الأبوي لأحمد عبد الحليم عطية، والسياسة لأرسطو طاليس، ومبادئ فلسفة الحق لهيجل، والقمع في الخطاب الروائي العربي للعبد الرحمان أبو عوف، التابو في المشهد الثقافي العربي لعنان حسين أحمد، المضمحل كاترين كيربرات..." إلى غير ذلك من المصادر والمراجع التي أنارت لي السبيل خلال مدة إنجازي لهذا البحث المتواضع.

وبقدر المتعة في خوض هذه الدراسة الشيقة، إلا أننا واجهنا بعض الصعوبات والتمثلة في: كون المسكوت عنه موضوع متشعب وتتعدم فيه مراجع تضبط خطوات السير نحو الكشف عنه، وعدم وجود خبرة كافية للتطبيق على النص، إضافة إلى غموض وإيحائية أفكار ولغة الرواية.

وقد تشكلت الدراسة من وأربعة فصول وخاتمة.

تناولنا في الفصل الأول: - وهو نظري بالأساس- بدءا بالصيرورة الاجتماعية لكلمة ثقافة وبداياتها ومفهومها، وعرجت على المثقف وجذوره الأولى وعلاقته بالواقع وانشغالاته، مروراً إلى السياسة وتجلياتها، لنخلص في الأخير للخوض في المسكوت عنه ودوافعه وأسبابه.

أما الفصل الثاني: فقد نحا نحواً تطبيقياً، تطرقت فيه للمسكوت عنه السياسي.

أما الفصل الثالث: هو الآخر نحا نحواً تطبيقياً، تطرقت فيه للمسكوت عنه الديني.

أما الفصل الرابع: جاء تطبيقاً على المسكوت عنه الجنسي وتجلياته.

وخلصنا إلى خاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي انتهى إليها هذا البحث، بعد التحليل والمعاينة قصد كشف المسكوت عنه، والتقنيات المستعان بها من طرف الروائي في تمرير المسكوت عنه. وهكذا تمكنت من تحليل ما يصطلح عليه عادة بالتابوهات الثلاثة: الجنس، الدين، السياسة.

كما لا يمكننا أن ندعي أن هذا العمل بلغ ذروة الكمال، أو خلوه من الهفوات، فلكل شيء إذا ما تم نقصان، وفي الأخير لا يسعني إلا أن أشكر المولى عز وجل على خالص توفيقه، كما أتوجه بالشكر الجزيل، للأستاذ الفاضل "يوسف الأطرش"، الذي كان نعم المنهل والمعلم والأستاذ، والذي تشرفت بأن حملت مذكرتي اسمه، والشكر الجزيل موصول للأستاذ الفاضل "فيصل حصيد"، الذي كان نعم السند والمرشد والموجه، وصاحب الفضل الكبير على

هذه المذكرة، ولأستاذة الفاضلة "خزري عالمة"، ولكل أساتذة قسم اللغة والآداب واللغات، ولجامعتنا الحبيبة على قلوبنا "جامعة الشهيد عباس لغرور" وبالأخص كلية الآداب واللغات، ولجنة المناقشة التي تسهم بدورها في تسليط الضوء على هفوات هذا البحث المتواضع وإثراء هذه المذكرة بتوجيهاتها القيمة، وكذا الشكر موجه لكل من ساعد في إنجاز هذا البحث من أساتذة وزملاء وكل باسمه ومقامه.

- والله ولي التوفيق -



الفصل الأول

المثقف والمسكوت عنه



1 – الصيرورة الاجتماعية لكلمة ثقافة :

تسهم الكلمات في صنع التاريخ الذي يسهم هو في صنعها ويمكنها من امتلاك شهادة ميلاد، كما هو الحال بالنسبة لكلمة (ثقافة)، التي تم اعتبارها على أنها وليدة قضية اجتماعية متكونة عبر صيرورة تاريخية ومجتمعية، وعليه كان لزاما علينا إمعان النظر في كيفية تكوّن الكلمة، وأصلها وتطورها الدلالي والصلة الموجودة بين كلمة ثقافة وتاريخها، وكيف خُلق ميراثها الدلالي، وفي هذا الصدد نجد " دنييس كوش" يقول: «لن نحفظ من المسار الذي كان لكلمة (ثقافة) إلا بما يُلقي الضوء على تكون المفهوم كما هو مستعمل في العلوم الاجتماعية، ولقد طبقت الكلمة ولا تزال على حقائق بالغة التنوع (فلاحة الأرض- الإكثار الجرثومي- تربية الأبدان...) وبمعان بائلة الاختلاف إلى الحد الذي لم يعد فيه بالإمكان هنا، تتبع تاريخها كاملاً»⁽¹⁾، (فدنييس كوش) هنا سلط الضوء على الاستعمال الأولي لكلمة ثقافة.

يقول (مالك بن نبي): « فالواقع أن الأوروبي عامة والفرنسي خاصة هو (إنسان الأرض). وإن الحضارة الأوروبية هي (حضارة الزراعة)، وعليه فإن هذه العمليات المرتبطة بالأرض كالبنز والحراث والحصاد، لها بالضرورة دور هام في نفسية الإنسان الأوروبي، كما أن لها دور هام في صياغة رموز حضارية...»⁽²⁾. فمالك بن نبي في هذا القول يبرز الدور الذي لعبته الزراعة في صياغة رموز الحضارة، فليس من الغريب أن نجد كلمة ثقافة تعني الزراعة إطلاقاً مجازياً.

فكلمة ثقافة لفظاً قديماً في التعبير الفرنسي، ظهرت في أواخر القرن الثالث عشر منحدرة من (Cultura) اللاتينية التي تعني العناية الموكلة للحقل والماشية، وذلك للإشارة إلى قسمة الأرض المحروثة.⁽³⁾ فمصطلح ثقافة هنا جرى على ألسنة أقلام

¹ - دنييس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ص:16.

² - محمد الشيخ، المثقف والسلطة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1991، ص:26.

³ - ينظر، مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1959، ص:25.

الباحثين وخاصة الفرنسيين في ارتباطهم بالمقصد التقليدي الذي حملته مدة طويلة، إلا أننا نجد هذا المصطلح «لم يحز على اعتراف أكاديمي، إذ لم يدرج ضمن مواد أغلب قواميس تلك الفترة، حتى القرن الثامن عشر...»⁽¹⁾.

ففي القرن 18 م فرضت كلمة ثقافة نفسها في معناها المجازي «ثقافة الفكر، وبهذا المعنى تم إدراجها في قاموس الأكاديمية الفرنسية (Dictionnaire de l'académie française) سنة 1718»⁽²⁾.

كما كانت متبوعة بمضاف يدل على موضوع الفعل، وتدرجيا تحررت من هذه المضافات، واقتترنت بأفكار التقدم والتطور والتربية والعقل التي احتلت القلب من فكر العصر.

وفي هذه الفترة عم التفاؤل وتولدت الثقة في تحسين مصير الكائن البشري بفضل الثقافة، وأن الرقي والتقدم أساسه التعليم وتوسيع المعارف، وكانت هذه الكلمة قريبة جدا من كلمة (حضارة)، إذ «اقتترنت كلمة ثقافة منذ أوائل القرن 18م مع شقيقة لها وهي كلمة حضارة...»⁽³⁾. على الرغم من أنهما ليستا مترادفتين؛ فالثقافة مرتبطة بالتقدم الفردي والحضارة مرتبطة بالتقدم الجماعي، وذلك حسب ما ساد في تلك الفترة وما أورده "تيلور": «..الثقافة ما يحققه الفرد من رقي، وتختلف مقاييسه من مجتمع إلى آخر ومن حقبة إلى أخرى، ونعتبر الحضارة حصيلة التقدم الذي تنجزه أمة أو مجموعة من الشعوب تنتمي إلى منبع واحد...»⁽⁴⁾. لتنتقل هذه الكلمة في القرن 18م إلى اللسان الألماني والانجليزي، ولكنها بدت أنها نقل حرفي للفظ الفرنسي وهذا ما يحيلنا إلى ما يعرف بالاقتراض، لتشهد بعد ذلك تطورا سريعا، وحازت على نجاح لم تحظ به من قبل «فالثقافة هنا تتصل بروح الشعب وعبقريته فالأمة الثقافية تسبق الأمة السياسية وتدعوا

¹ - دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص: 17.

² - المرجع نفسه، ص: 17.

³ - محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الأبيار، الجزائر، 2003، ص: 23.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 23.

إليها»⁽¹⁾؛ فالثقافة إذ هي ثمرة الفكر؛ أي ثمرة الإنسان كما يمكن أن تكون ثمرة المجتمع...

صحيح أن هذه الكلمة الجديدة لم تتبلور بعد ولكن كثيرا من معالمها بدأت تظهر بقوة وتقرض نفسها على الواقع، والفضل يعود لمؤسسي الإثنولوجيا الذين أكسبوه محتوى وصفيا خالصا، وجعلوه يفلت من مجادلة الثقافة والحضارة إلى الاستقلالية، وأول من كان سابقا إليه وخاض فيه: "إدوارد تايلور" (tylor) (1917/1832). الذي ركز على البعد الجماعي لهذا المصطلح حيث يقول: «الثقافة هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع»⁽²⁾. فهو يرى أن الثقافة مكتسبة وتقوم على التفكير في نطاق الإنسانية كافة، والمؤمن بقدرة الإنسان على التطور. فالثقافة ليست حكرا على فئة دون أخرى، وذلك من خلال دراسة الثقافة في كل المجتمعات من متوحش ومتحضر...

أما "فرانس بويز" (F.Boas) (1942/1858) الألماني، صاحب التصور التخصصي للثقافة ومبتدع علم الأناسة، فهو لا يعترف بهيمنة ثقافة مرجعية صالحة لكل البشر، ولعل سبب رفضه للثقافة المفردة والمغلقة هو معاناته وعائلته من معاداة السامية لأن أصله يهودي ألماني⁽³⁾. وبعد دراسته تبين له أن التنظيم الاجتماعي تحده الثقافة أكثر من المحيط الفيزيائي، وتوصل إلى أن «معرفة الثقافة وفهمها يتوجب فهم اللغة الدارجة والإقامة المطولة بين من نختار دراسة ثقافتهم»⁽⁴⁾، كما أنه نفى التباين «البيولوجي بين البدائيين والمتحضرين بل تباينات ثقافية فحسب...»⁽⁵⁾، فهنا يؤكد تخليه عن العرق في تفسير التصرفات البشرية وعدها فكرة سخيفة وبالصدفة العجيبة نجد: "إيميل دوركايم" (1858-1917م) عالم الاجتماع يتقاطع مع "بويز". فيما ذهب إليه إلا أن "دوركايم" كان يعتمد

¹ - دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص: 24، 25.

² - المرجع نفسه، ص: 30، 31.

³ - ينظر، محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ص: 46، 47.

⁴ - دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص: 38.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 36.

مصطلح (حضارة) «ولم يكن يعتمد مصطلح ثقافة إلا في النادر القليل»⁽¹⁾. فالتقاطع هنا لم يكن في المصطلح بل كان في الفكرة فقط، وقد «استكمل "لوسيان" و "ليفي بروهل" (L.livybruhl) (1857-1939) دراسة دوركايم»⁽²⁾.

إلى غير ذلك من العلماء الذين خاضوا في هذا المجال وكل حسب وجهة نظره ومنهم نجد: "ليفي بروهل"، و"مارسيل موس" و"دومنيك مارليي... الخ، وبفضلهم وصل مفهوم الثقافة إلى هذا الانتصار، وشهد تعميقه الأثري الأبعد أثرا، وكان البحث فيها بفضلهم تراكميا ولم يشهد تراجعاً بالمرة، وجعلها تبني معناها في الاختصاصات المجاورة.

مفهوم المثقف:

يحيل مفهوم المثقف إلى جدل كبير أدى إلى غموض في هذا المفهوم وإلى التباين في أطره العامة، ومن المعلوم أن هذا المفهوم عرف العديد من التعريفات تتفق في المضمون وتختلف في الشكل «وكان استخدامها الأولي في أواخر القرن 19 م»⁽³⁾ إلا أن ميلادها كان مرده إلى القضية الاجتماعية والسياسية الشهيرة في تاريخ الغرب، وفي فرنسا تحديدا وهي: قضية "دريفوس" (تسميتها نسبة للضابط الفرنسي ألفريد دريفوس) الشهيرة والتي كانت مجرياتها حول إدانة الضابط الفرنسي بتهمة تسريب معلومات عسكرية إلى ألمانيا العدو، فبدت القضية في الوهلة الأولى قضية تجسس وخيانة يستحق مرتكبها النفي، وبغياب أدلة الإدانة ونفيه لهذه التهمة المنسوبة إليه، تحولت المحاكمة إلى فتيل أوقد قضية سياسية عصفت بفرنسا عشر سنوات، لينقسم الشعوب إزاءها إلى مؤيد ومعارض، فأدى هذا الصراع إلى ظهور جماعة من رجال الأدب والفكر مسمية نفسها جماعة المثقفين، منهم (إيميل زولا، أناتول فرانس، مارسيل بروست، وليون بلوم) التي كتبت بيان

¹ - المرجع السابق، ص: 49.

² - محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ص: 06.

³ - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1959، ص: 34.

للفصل في هذا الصراع وكانت كشهادة ميلاد للمتقف⁽¹⁾. وعليه فكيف سيتحدد وضعه (المتقف) انطلاقاً من هذه القضية؟

فبما أن كلمة متقف واسعة النطاق ومتعددة الجوانب، فإننا سنحاول تبين دلالتها اللغوية والاصطلاحية.

أ - في اللغة:

تعد كلمة الثقافة كلمة غائمة المفهوم واسعة النطاق والدلالة، ومن الصعب الوقوف على تعريف واحد ودقيق لها، إلا أننا نجد القواميس اللغوية سعت جاهدة لتقديم محاولات ومن تلك المحاولات؛ نجد أنها وردت عند «ابن منظور» بمعنى: الأشياء الجامدة كالسيف والرمح، فقد استخدم العرب عبارة ثقّف الرمح بمعنى قوم اعوجاجه، واشتقوا الثقافة كمنهنة للعمل بالسيف وسموا صاحبها المثاقف، قال أحد الشعراء:

كَأَنَّ لَمَعَ بُرُوقِهَا فِي الْجَوِّ أَسْيَافُ الْمُثَاقِفِ.

واشتق العرب الثّقاف وهي آلة يَقُومُ بها القواس أو الرّماح السيئ المعوج⁽²⁾. كما أنها إضافة إلى هذا المفهوم الحسي حملت معنى آخر تجريدي ذهني وذلك من خلال قوله: «(ثقف): تفيد الفطنة والذكاء وسرعة التعلم»⁽³⁾. فهذه الكلمة وردت مرة بمعنى حسي وتارة أخرى بمضمون ذهني أولهما ركز على المهارة في القتال، والثاني على المهارة في الفهم، أما في " القاموس المحيط " فقد ورد أن للثقافة معنيان:

1/ - يفيد الظفر بالشيء وأخذه (ثقفه: أي صادفه وأخذه أو ظفر به وأدركه، ومن هنا جاء معنى أثقفه أي (فُيِّضَ لي).

1- ينظر، محمد الشيخ، المتقف والسلطة-دراسة في الفكر الفلسفي المعاصر؛ ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1991، ص: 14، 15، 16، 19.

2- ينظر، ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مادة: ثقّف، م7، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، ص: 121.

3- ينظر، ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مادة: ثقّف، م7، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، ص: 121.

2 -/ "يفيد الفطنة وسرعة الفهم" ثقّف، يثقّف، ثقفا وثقافة: صار حذقا وخفيفا فطنا".⁽¹⁾

ومنه فكلّمة "ثقّف" وردت في المعاجم العربية بمعنى النباهة وسرعة الفهم وخفته، والفطنة والذكاء، أما في اللغة الانجليزية فإن كلمة "culture" من «كلتور "cultura" اللاتينية، بمعنى الفلاحة والتّهذيب، ويستخدمها البعض لمعاني الحضارة»⁽²⁾. فكلّمة "culture" تترجم إلى اللغة العربية على أنها الثقافة وأحيانا الحضارة.

أما في ما يخص المعجم الفرنسي (معجم لالاند) الشهير فقد إستعمل كلمة مثقف "intellectuel" بكل اشتقاقاتها، إلا أن هذه الكلمة لا يمكن أن تفهم إلا ضمن السياق العام للمواقف المتخذة إزاء قضية (دريفوس).⁽³⁾

ب- في الاصطلاح :

اختلفت الآراء والتصورات النظرية حول مفهوم المثقف ولعل ذلك لاختلاف التعريف من لغة لأخرى، ومن بين هذه التعاريف نجد "إدوارد شيلز" والذي يعرفه «على أن الشخص المتعلم الذي يملك طموحا سياسيا للوصول إلى مراكز صنع القرار السياسي، أو من خلال دوره المحوري الحاسم في توجيه المجتمع، عن طريق التأثير على القرارات السياسية الهامة التي تؤثر في المجتمع ككل، ميزة هذا المثقف قدرته العالية على استخدام رموز ودلالات ومفاهيم لغوية عالية متصلة مباشرة بالإنسان والكون والفرد والمجتمع»⁽⁴⁾ "فإدوارد شيلز" ربط المثقف بالفئة المتعلمة الصانعة للقرار، والفطن القادر على فك الشفرات الدلالية.

ومن التوصيفات الواردة أيضا نجد "برهان غليون" يوصفه بأنه: «من ينتمي إلى طبقة اجتماعية فاعلة في المجتمع بحيث تتميز عن غيرها بتفكيرها العالي والناقد، وتدخل

¹ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تق: نصر الهوريني، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص: 121.

² - عبد المنعم حنفي، المعجم الفلسفي الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2000، ص: 233.

³ - ينظر المصدر نفسه، ص: 233.

⁴ - إدوارد سعيد، خيانة المثقفين، تر: أسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2011، ص:

في عملية الصراع الاجتماعي والسياسي وفي النهاية يكون تأثيرها واضحا، إما من خلال مشاركات قوية لصنع السياسة والقرار السياسي، أو من خلال أعمال فكرية كبيرة تؤثر في الناس والمجتمع فكريا وثقافيا ومعنويا ⁽¹⁾.

جُعل المثقف في هذه التعاريف؛ فاعلا في المجتمع بتميزه ودرايته، والمساهم في بناء المجتمع من خلال أعمال فكره، إضافة إلى إirاده بأنه: «ذلك الذي يتميز بوضوح الرؤية وسعة الأفق»². فالمثقف حسب ما ورد في التعاريف السابقة هو: المتعلم الفطن ذو الدور الفاعل في المجتمع، المقوم الناقد، الصانع للقرار، القادر على التأثير فكريا وثقافيا ومعنويا.

دور المثقف وفاعليته :

تعد المعرفة أداة من أدوات الحياة الاجتماعية التي يتعامل بها الأفراد المنتمون لبيئة اجتماعية معينة، ويتحاورون ويبنون على أساسها مصالحهم المشتركة، ويتبادلون بواسطتها القيم والأعراف، ويعبرون بها عن رؤاهم المختلفة للواقع فهم يقومون بالربط بين النظم الاجتماعية وشكل المعرفة المطابق لها، كما يتم الربط بين طبيعة المعرفة والصراع الاجتماعي تحديدا.

حيث نجد أن "كارل ماركس" (k.marx) يرى أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي، والطريقة التي نفكر بها تنبعث من الظروف الاجتماعية التي نعيشها⁽³⁾ فالأفكار عنده وليدة القيم الثقافية والاجتماعية المختلفة.

ويقول "ساتر" (Sarter): «الذي عدّ المثقف على أنه الضمير الشقي، لأنه لا يرتاح لأمر الواقع ويسعى لتفسيره وتغييره، ولا يقف عند حدود معرفته وتخصصه العلمي، بل

¹ - المرجع السابق، ص: 37.

² - علي شريعتي، مسؤولية المثقف، تر: إبراهيم الدسوقي، ط1، دار الأمير، بيروت، لبنان، 2005، ص: 51.

³ - ينظر، أنصار بيبير، الإيديولوجيا والمنازعات والسلطة، تر: إحسان الحصني، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1984، ص: 72.

يُسمع ذلك ليشمل كل ما هو وطني وإنساني»⁽¹⁾، إلا أن هذا المثقف قد لا يكون ذا قدم ثابتة فيضحي بالحقيقة من أجل السلطة فيقع في صراع الحقيقة والسلطة، فهو من جهة يرغب في تبين الحقيقة وقولها، لكنه إن اختار هذا الطريق قد سيعيش منبوذا مهانا، أما إذا جعل مواهبه في خدمة السلطة فإنه يستحق المكانة والرفاهية.

ويرى "سارتر" «أن العدو المباشر والألد للمثقف هو المثقف المزيف لأن المثقف المزيف هو قبل كل شيء مثقف مئيع»⁽²⁾، وهذا ما نجده جليا في كتاب "فخري صالح" دفاعا عن "إدوارد سعيد" والذي طرح فيه "نظرية المثقف الملتزم"، التي أثارت أصداء واسعة في العالمين الأدبي والفكري، والذي سلط فيه الضوء عن كيفية رفض "إدوارد سعيد" أن يتموقع في البيئة الأكاديمية، وفضل رغم ما كلفه ذلك على صعيد المكانة الاجتماعية والسلامة الجسدية، أن يكون مكافحا عن القضية الفلسطينية في قلعة الغرب المعادية لحقوق الفلسطينيين، ومشددا على وظيفة المثقف ودوره.⁽³⁾

فالمثقف الفعال لا تستطيع الحكومات أو الشركات أو المؤسسات المالية التعاون معه، بل عليه أن يكون مستقلا مثيرا للقضايا التي خبئت تحت السجاد وهذا ما يجعل منه مثقفا نقديا ونموذجا مثاليا يجهر بالحقيقة في وجه القوة، باعتباره حنجرة العصر الصارخة بدافع الحب لا الربح، كما نجده قد سلط الضوء على مواضيع عدة غاية في الأهمية، فنجد تناول التاريخ والتراث واقترب من بعض المعتقدات المتعلقة بالدين على الرغم من أن الإمساك بها أخطر من الإمساك بسلك الكهرباء العاري⁽⁴⁾، وكذا سلط الضوء على «المعتقدات الصالحة والفاصلة، ومدى تعلق العقلية المتحجرة بها، وعلى الرغم من أن

¹ - علي حيدر إبراهيم، المثقف العربي نحو دور فاعل، ندوة الثقافة العربية وتحديات المستقبل، الشارقة، 1996، ص:30.

² - جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابيش، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1973، ص:43.

³ - ينظر، فخري صالح، دفاعا عن إدوارد سعيد، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، 2000، ص:116.

⁴ - ينظر، مصطفى عمر الفاروق، التابوهات المقدسة، ط1، دار ليلي، القاهرة، مصر، 2010، ص:32.

تحطيم هذه التابوهات كمن فتح باب جهنم على نفسه... وتجعل من خاض فيها يقع في دائرة الاتهام، وتخلع عنه صفة الإسلام في كثير من الأحيان»⁽¹⁾.

لنجد هذا المثقف أيضا سلب الضوء على الانحلال الخلقي في المجتمعات المؤمنة بالرشوة وانعدام الضمير، والكبت الذي يؤدي للوقوع في المحذور وإلى المجتمعات التي تنظر إلى المرأة على أنها "ضلع أعوج"، وأنهن ناقصات دين وعقل، وحاجتهن الدائمة إلى التوجيه والتقويم، وكيف تعيش في مجتمع تحاصرهما آيات المنع فيه، وهذا ما جعلها تعتمد إلى التمرد، حتى في أعمالها وإبداعها والاقتراب من المحذور، ووقف أيضا عند السلطة ومن يمثلها في المجتمع، وكيف له أن يملك ويستفيد، بينما باقي الناس تقبل وترضخ وتمتثل، «فصاحب السلطة والمركز في المجتمع ما هو إلا صورة مكبرة للأب في العائلة بتصرفاته ونظرته لنفسه وعلاقاته بمن هم دونه»⁽²⁾.

وبالرغم من أن هذه الأبوية لا يمكن تجاوزها وإنما إعادة النظر فيها، فهو نقد لتجلياتها في الممارسة سعيا إلى التقويم ليس إلا، لأن الفنان هنا يتعامل مع الواقع كمادة حية تزخر بالبشر والأصوات والأحداث التي لا مفر منها على مؤشرات بوصلة هذا الواقع.

كما ارتسمت في مرآتهم أحداث سياسية، اجتماعية، جنسية، لأن الفن الذي لا ينبع من الحياة يحمل في داخله بذور موته، وبما أن هذه العناصر ليست خارج قضايا الحياة، فمن البديهي أن تكون لها خطوط تقاطع مع الفن⁽³⁾، وكلما خاض المثقف في هذه المواضيع أصبح أكثر اتهامًا فتمارس عليه كل أنواع الممنوعات أو إقصاؤه عند الضرورة، وذلك بحجة أنه نظام مكتمل ولا يستسلم للمساءلة أو الحوار أو النقد الحر، وهو غير قادر على اكتشاف نقاط ضعفه، وهذا في حال أعطى لنفسه من الأساس الحق فالاعتقاد باحتمال انطوائه على نقاط ضعف، ورغم كل هذا نجد المثقف ناقدًا لكل الأنظمة الاجتماعية غير العادلة حتى ولو كانت تحت شعار العرف والعادات، ويرفض البشاعة

¹ - المرجع نفسه ص: 33.

² - أحمد عبد الحليم عطية، نقد المجتمع الأبوي - قراءة في أعمال هشام شرابيبي -، ط1، منتدى صور الأريكة، القاهرة مصر، 2003، ص: 261.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص: 346، 347.

حتى ولو كانت تقليدا اجتماعيا توارثناه سلفا عن خلف، فالفنان هو ذلك «الطفل الذي قال للملك في الأسطورة ولكنك عار أيها الملك» هذا بينما كانت الحاشية تمدح أثواب الملك العاري⁽¹⁾، كما انتقد أيضا رجال الدين الذين يطالبون الفنان المبدع «بعدم نسيان (حزام الفقه الفكري) حينما يكتب، والمناداة بطول عمر المؤسسات المعتاشة على مجد الله، وهم قد سمحوا للراقصة بتعرية جسدها على الشاشة، أكثر مما يسمح للفنان من تعرية ولو جزء بسيط من تلافيف دماغه»⁽²⁾، فالأديب في رأيهم هو ذلك الصبي الممنوع من الحلم كي لا يصر على استعمال جناحيه لاكتشاف الأسرار، وهو ما دفع الناقد إلى نقد هذا التسلط، فمن حقه ككل مواطن مناقشة (المحرمات) وتمييز ما هو حرمان غير عادل وإبراز الدور السلبي الذي تلعبه هذه (المحرمات) في حياتنا وإعادة النظر في هذا الركam الهائل من مفاهيمنا حول (التابو) وغربلته، وخلع قفازات العقد النفسية، باسم علاقة الدم أو باسم المجتمع أو باسم الأديان، وكل المؤسسات التي تتحالف مع السلطات القمعية، أو ذات الحماية الوهمية، ورسم حدود للسلطة فلا تتحول إلى تسلط وقهر وصورة للحرية دون أن تتحول إلى فوضى، وبمجرد أن يصبح الفرد من هؤلاء، مضحيا بالمبدأ والحقيقة يتجرد من كونه مثقفا، لأنه على المثقف أن يتحمل الحملات الهجومية من قبل ذوي المصالح الثابتة أو القابضين على زمام السلطة والمجتمع من أجل طروحاته وأرائه، وكما يتطلب منه أن يكون أداة خلاقة أكثر منه مرآة عاكسة أو مستودع للمعرفة⁽³⁾ كما يجب أن يركز دوره على نقد «الأساطير الاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع وذلك بتفكيك منطلقات السلطة وأوهامها وأفعالها القهرية، وتعرية العالم المتخلف للنظام الاجتماعي»⁽⁴⁾، لأن المجتمع ليس ضحية السلطة دوما؛ بل قد يكون ضحية نفسه أيضا أو تخلفه الثقافي، فلذا وجب على المثقف أن يلعب دور القاضي في المجتمع والدولة، وذلك بالسعي إلى الدفاع عن حرية التفكير والخوض والكتابة والنشر ضد أنواع المنع كله.

¹ - غادة السمان، القبيلة تستجوب القتيلة، الأعمال غير الكاملة 12، ص: 106.

² - احمد عبد الحليم عطية، نقد المجتمع الأبوي، ص: 228.

³ - ينظر، بلقير عبد الإله، نهاية الداعية- الممكن والممتع في أدوار المثقفين-، المركز الثقافي العربي، بيروت،

لبنان، 2000، ص: 117 .

⁴ - المرجع نفسه، 49.

وما عليه إلا أن يقوم بدور الحامي للأمن الثقافي لأنه المعني بحماية السيادة الوطنية الثقافية والرمزية، فهو إذا أمام «ثلاث مهام هي: مهمة علمية معرفية "التنوير" ووطنية "حماية السيادة" واجتماعية "الحرية"»⁽¹⁾؛ فالمثقف هو المساهم باستمرار في التنمية الاجتماعية وقيادة الفكر نحو التطور، كما يجب عليه أن يكون دائماً ساعياً لتثقيف نفسه بما يؤهله للخوض في كل فن من الفنون، وأن يضع في حسبانته أنه في منطقة هي بأمس الحاجة إلى تسليط الضوء على جوانب تحتاج للإصلاح ونفض الغبار وذلك باعتبار أن الأدب مسؤول وأن الأديب مهندس النفوس قبل العقول.

السلطة:

سعى الفكر الإنساني قديماً وحديثاً إلى وضع آليات تحدد بدقة مفهوم السلطة السياسية وحدودها، وهذا ما يعني حضورها القوي في حياة الإنسان، وهذا الحضور الذي تجسده جملة من المفارقات، فهي كما تبدو «تعبير ضروري عن حاجة طبيعية في الإنسان، من حيث كونه الكائن الوحيد من بين سائر الكائنات، الذي بإمكانه تحديد حقوقه وواجباته، في إطار جماعة إنسانية ننتمي إليها»⁽²⁾ نازعاً بذلك إلى ما هو أفضل، وقد عبر بعض الفلاسفة على ضرورة السلطة السياسية بوصفها مطلباً متأصلاً لدى الإنسان، ولا يمكن لأي كائن أن يعيش منفرداً عن الجماعة إلا إذا كان أرقى منها كأن يكون إلهاً، أو أدنى من ذلك كأن يكون حيواناً، حتى قيل: «فالتطبع إذا يدفع الناس بغرائزهم إلى الاجتماع...»⁽³⁾، وهدف هذا الاجتماع تحقيق الخير المشترك للجميع.

كما تبدوا السلطة كقيمة أو مثل أعلى، تعبر على مدى تفوق الإنسان ومدى قدرته على تنظيم حياته وإصدار الأمر والالتزام به، بالتراضي بين الطرفين، الأمر والمأمور⁽⁴⁾، ومن جهة أخرى تظهر السلطة في صورة قوة آمرة قاهرة، هادفة إلى كبح جماح الإنسان وصدّه عن الاعتداء عن بني جنسه، وهذا ما نجده في ما ذهب إليه "ميكافيلي" من خلال

¹ - اسعاف حمد، المثقف العربي وإشكالية الدور الفاعل، جامعة دمشق، المجلد: 30، العدد: 4، ص: 214.

² - إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، ط1، دار الفجر، القاهرة، مصر، 2001، ص: 8.

³ - أرسطو طاليس، السياسة، تر: أحمد لطفي السيد، منشورات الفاجرة، الرياض، ص: 103.

⁴ - أبو نصر الفارابي، كتاب السياسة المدنية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ص: 69.

قوله: «الواجب يدعو عند تأليف الدول، والتشريع لها، إلى اعتبار الناس جميعاً أشرار، وإلى أنهم ينفسون دائماً عمّا في ضمائرهم من الشر، عندما تتاح لهم الفرصة للتنفيس»⁽¹⁾، فالسلطة أمراً ضرورياً وملحاً من أجل مجتمع أفضل، وقد كان لتطور الدراسات في العلوم الإنسانية أثراً بالغ في ازدياد الاهتمام بظاهرة السلطة إلا أنها في الفكر العربي تحديداً تحولت إلى سلطة الحاكم بدل تعبيرها عن سلطة الدولة.

وكان لاحتكاك العرب بغيرهم من الشعوب، وإطلاعهم على ثقافة الغرب خاصة السياسية القديمة منها والحديثة، دافعاً لقراءات جديدة في الفكر السياسي العربي ودعوة صريحة لإعادة النظر في مفهوم السلطة السياسية، خصوصاً مع بروز التناقض بين ما تقدمه الدولة في المجتمعات الغربية، وما تمارسه الأنظمة السياسية العربية تجاه شعوبها⁽²⁾، إلا أن تماهي سلطة الحاكم مع سلطة الدولة، وتحول السلطة في المجتمعات العربية إلى سيطرة، وانتقالها من صعيد إلى كل الأصعدة ومن النسبي إلى المطلق، فالغاية المرجوة من هذه التأمّلات القضاء على التناقض والخلط الذي اعترى السلطة، وذلك من أجل بلوغ مجتمع إنساني مثالي، ومتميز بتنظيمه، وتحقيق الأمن والاستقرار للفرد بوصفه عضواً في الجماعة، فلو أخذنا مثلاً: "هيجل" (hegel) (1770-1831) فقد جعل من الدولة السلطان الأعلى الذي لا سلطان فوقه، إذ أخرج الدولة من النسبي إلى المطلق، وأن علاقة الفرد بالدولة تجسدها سلطته المطلقة عليه، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين العين والجسم³.

فالدولة هي التجسيد الثالث بعد الأسرة التي تعد الوسط الطبيعي للحياة الاجتماعية، والمجتمع المدني بوصفه الإطار الذي يجمع الناس وفقاً لمصالحهم المختلفة وأسمى واجب أن تكون تحت سلطة الدولة وفي خدمتها، ويقول "كار ماركس" (K,marx) (1818-1883م): «السلطة السياسية منظمة من طرف طبقة واحدة لقهر استغلال طبقة

¹ - ميكيا فيلي، المطارحات، تر: خيرى عماد، ط1، المكتبة التجارية، بيروت، لبنان، ص: 223، 224.

² - مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص: 15.

³ - اسماعيل زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص: 59.

أخرى»⁽¹⁾. إلا أنه هناك من وصف هذه النظرة بأنها كلاسيكية تركز السلطة في جهاز الدولة.

ويطل علينا "ميشال فوكو" (Mechel Foucault) (1926-1984م) في معرض آخر بنظرة جديدة وبتفسير مغاير للسلطة مخالفا تماما لما كان سائدا، فكما يرى أنها «ليست جهازا قابعا على قمة المجتمع والذي يسمى الدولة أو السلطة السياسية، بل أنها تتمثل في شبكة العلاقات الاجتماعية الموزعة في كل جسد المجتمع والمنبتقة في كل مؤسساته وخلاياه، وهي موجودة في كل مكان وزمان، وتمارس فعلها بأشكال متعددة»⁽²⁾. وعليه فالسلطة ليست شيئا قابلا للامتلاك وهي متواجدة في العلاقات الاقتصادية والمعرفية والجنسية وليست خارجة عنها، وأن علاقة السلطة تأتي من الأسفل وهي لا تمارس من فوق نحو التحت؛ بل إنها توجد في العلاقات الأفقية. فالسلطة في معناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم أمرا ومأمورا، أمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، والمأمور عليه واجب الطاعة والتنفيذ، لأن العقل والمنطق يقرّان بأن المحكوم يجب أن ينقاد للواجب لا للحاكم.

المسكوت عنه :

تكتسي الكتابة أهمية كبيرة في المجتمعات العربية التي تعيش القمع السلطوي، الذي يقف في وجه الأفراد والمجتمعات. فالرواية العربية ترسم السلطة المستبدة التي تتوسل القهر نظرية وممارسة، وترفعه إلى مقام الفلسفة الرسمية، وتعمل على الدوام بدمج باقي السلطات (الدينية والاجتماعية والاقتصادية) داخل مؤسستها حسب رأي الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو"⁽³⁾، لذا يلجأ الكاتب المثقف إلى الرواية بصفتها خطاب غير واقعي، لتحويل مالا يمكن توصيله إلى ما

¹ - يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996، ص:774.

² - السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2004، ص:187.

³ - ينظر، محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، إفريقيا الشرق، الرباط، 1988، ص:70.

يمكن توصيله، وإظهار السلطة كآلة تنظم الجريمة وتنسج الهلاك، وتسلب الضوء على ما لا يمكن الاقتراب منه.

فيجد الفنان في الرواية أو في إبداعه منفذا ليتوجه نحو المسكوت عنه؛ أو نحو ذلك الذي لا يقال علنا، فالرواية هي مرآة تتجول في جوانب العصر وأبعاد الفضاء لتسجل الأصداء الواسعة للرؤى والصراعات والحوارات، وتشخص هموم الإنسان، وإشكاليات الحياة، وإنها بديل الموت⁽¹⁾.

فالمثقف هنا من أجل درء الاستبداد الذي يتوغل في ثنايا المجتمع ليلتقط المسكوت عنه، والذي من خلاله يكشف الأورام الداخلية في بيئته، وطرح ذلك بذكاء وحرص، ففي مجال "الثالث المحرم" المهيم على ضبط قيم المجتمع، عُنيت (الجنس والدين والسياسة)، نلاحظ أن الإنتاج الروائي أسهم في إضاءة المناطق الحساسة، التي يحرص الماسكون للسلطة عادة على تسييجها وإيهام الناس بأنها في حرز مصون تخضع دائما إلى التقاليد والتعاليم الموروثة، وتستجيب لمقتضيات الأخلاق الجماعية والممارسات المنوالية، ولكن الرواية عرفت كيف تسلب الضوء على كتلة الواقع، وثنايا شروخ الذات والعلائق، واستطاعت أن تتغلغل إلى هذه المناطق المحرمة لتبرز التناقضات والمفارقات القائمة بين المعلن عنه والمعتمد على اللغة الأمرة، والمسكوت عنه المهمش الضارب بجذوره في أعماق المعيش⁽²⁾.

تولد الممنوع الديني عن فكرة الاستبداد التي تبناها بعض رجال الدين الذين يمارسون دور الوصي، وفرضهم شروط دينية لم يردّها الخالق لعباده، وسعوا إلى تشديد قبضتهم وتضييق الخناق على كل المحاولين الاقتراب منه والمساس به، ومن هذا المنطلق أخذت الرواية العربية على عاتقها مهمة الكشف عن هذه الممارسات التي تتسرّب بالدين وتجعله مطية لخدمة مصالحها وأغراضها، وكما لاحظنا على مرّ التاريخ، كيف أن رجال الدين يستعملونه لخدمة مصالح سياسية، وهذا ما ولّد شرعية أخرى لممنوع آخر وهو "التابو السياسي" لذا ظل المثقف العربي محصورا بكثير من الأغلال والقيود، ومصفدا عن

¹ - ينظر، عبد الرحمان أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسان، ص:8.

² - محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، ط1، مجلة دبي الثقافية، دار الصدى، 2011، ص:57.

رؤية وسرد الواقعة كما يراها أو يعيشها، لذا نجد الرواية ترتبط بالواقع وتنصهر في عاداته ولن تكتمل الصورة إلا بتسليط الضوء على ما يشكل الضلع الثالث لمثلث التابو ألا وهو "تابو الجنس" أي "الممنوع الجنسي"؛ والذي ترى الدول العربية أنه يجب تهميشه لأنها بقيت رهينة عقدة الذنب حيال هذا الجانب، واقتنعوا أنفسهم بهذا التصور الخاطئ، إذ اعتبروا أن الخوض في الحديث عن أمور تتصل بالجنس سيقبل من الحياء، ولكن يبقى كل ممنوع مرغوب.

فقد أسال الممنوع الكثير من الحبر والذي كان مخاضه كتابات متنوعة وعديدة، مسّت بقدسيته وعمدت إلى زلزلته، إلا أن هذه المواضيع المحظورة إذا ما تعرض إليها الكاتب صراحة فقد تزجّ به في مخاطر ومحاذير المثقف، وما من حل إلى تناول هذه المواضيع إلا رمزا بالإشارة دون العبارة والإيحاء دون تصريح، لأنه كثيرا ما يقمع صوت التفكير فيها بعدة وسائل على الرغم من وجودها خارج أرض الواقع، وكما أن هذا المصطلح (المسكوت عنه) له مرادفات كثيرة: "الإضمار، الحذف، اللامفكر فيه، مكبوت الخطاب" أما في اللغة الفرنسية يقابله: "le non dit"⁽¹⁾.

ويمكننا أن نخلص هنا إلى أن المسكوت عنه هو: ما لم يُقل صراحة، ومدلولا عليه في الخطاب بطريقة ضمنية، كما أنه يقتصر على المحظورات الأخلاقية والسياسية والدينية.

دوافع الإضمار:

غالبا ما نستخدم في أحاديثنا اليومية عبارات مثل: الفاهم يفهم...، إلى غير ذلك من الصيغ التي توحى بأن مضمون الرسالة غير مباشر ويجدر بالمتلقي حينئذ محاولة فك الرموز لبلوغ المعنى المقصود. فلماذا كل هذا اللف والدوران في إيصال الرسالة؟ ما الذي يحول دون أن نتكلم بشكل مباشر فيكون ذلك أسهل على الجميع؟ وهل هناك ما يقتضي عدم التصريح؟ وهل سيتمكن المتلقي من اختراق المعنى الحقيقي للمسكوت عنه؟

يقول "ريكاناتي": «يجب أن يتحدث المرء قدر المستطاع "بلا موارد" أي أنه يتجنب إعطاء المعلومة المطلوبة على نحو مضمر...، وفي حال عدم توفر أي سبب وجيه يحول

¹ – Wwww.ikipedia.non dit.com

دونما إعطاءها على نحو بين «⁽¹⁾، فعلى الرغم وجوب الحديث بشكل صريح إلا أن الإضمار يفرض نفسه في بعض المواضيع وفي بعض المواقف.

ويقول "فوكو": «إننا نعرف جيدا أنه ليس لدينا الحق في أن نقول كل شيء، وأننا لا يمكن أن نتحدث عن كل شيء في كل ظرف...»⁽²⁾. ففي بعض الثقافات توجد كلمات محظورة وتتمثل في كل «لفظ يمنع استعماله في سياق معين لعوامل متعددة يتكون من كلمة أو أكثر، قابل للتغير ممنوع بين الحقيقة والمجاز»⁽³⁾

حيث يتجنب الناس استعمال هذه الألفاظ في الغالب، لما لها من إحياءات مكروهة، ولدلالاتها على ما يستقبح ذكره، فهذه الألفاظ تنتمي إلى مجال "المحظور" أو "التابو". ونجد من يعتبر (tabou) «هو مصطلح يطلق على كل ما هو مقدس أو ملعون، ويحرم لمسه أو الاقتراب منه لأسباب خفية سواء كان ذلك إنسانا أم كلمة أم شيئا آخر»⁽⁴⁾ ونستشهد على ذلك من الاعتقاد الذي مازال راسخا في المجتمعات العربية إلى يومنا هذا، إذ تلجأ بعض العائلات التي يتوفى أطفالها إلى تسمية المولود الجديد باسم غريب اتقاء للنحس وإبعاد العين، وكما كان في (المجر) وفي (العصور الوسطى) كان الأطفال يسمون أحيانا بأسماء وقائية تبعد عنهم الأرواح الشريرة ومنها نذكر (الموت الصغير، ليس حيا، الوسخ...).⁽⁵⁾

ونخلص إلى أن خطر الكلمات يعود لعوامل عدة أهمها: العامل الديني "المقدس"، العامل الاجتماعي "الحياء والحرص"، والعامل النفسي "الخوف والاشمئزاز"، وقد تتداخل الأسباب كلها نظرا لارتباطها ببعضها ارتباطا وثيقا.

¹ - كاترين كيبريات-أوركيني-، المضمّر، تر: ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2008، ص:493.

² - ميشال فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، التنوير، بيروت، لبنان، 1990، ص:4.

³ - عصام الدين عبد السلام محمد إبراهيم أبو زلال، التعبير عن المحظور اللغوي، والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، القاهرة، 2001، ص:72.

⁴ - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ص:174.

⁵ - ينظر، المرجع نفسه، ص: 176.

إضافة إلى أسباب أخرى متعلقة باللياقة، فمثلا من جانب علاقات الحب ومن باب الحشمة والحياء، وتجنبنا لبعض الرقابات ذات الطابع الأخلاقي...، إذ لا يصرح الشاب لوالديه أنه يحب فتاة معينة، بل يلجأ إلى أساليب أخرى غير مباشرة كأن يقول: «أنه يرى فلانة امرأة صالحة».

كما أنه هناك مواقف أخرى تستدعي استعمال الأساليب الغير مباشرة كالأمور (الجنسية). ففي كل لغة كلمات مبتذلة وأخرى محترمة، تطلق على الأعضاء التناسلية أو على العملية الجنسية، فينفر الناس من الكلمات المفضوحة والمحرجة، ويقبلون على الكلمات المعماة المكنية مثلما كنى القرآن الكريم عن العملية الجنسية بألفاظ مثل: الحرث واللامسة..⁽¹⁾

مرورا إلى محظور آخر متعلق بالسياسة، وطالما اعتبرت السياسة خطأ أحمر: يمنع تجاوزه خاصة في كل الأنظمة السياسية والديكتاتورية على وجه الخصوص، كما يحظر التكلم على مؤسسات الدولة أو رجال الحكم أو معارضة النظام السياسي القائم، فيعرض كل من ثبت في حقه تورطه في قضية النميمة ضد الدولة، أو تطرق لموضوع محط شبهة سواء من بعيد أو من قريب إلى عقوبة السجن أو النفي إلى خارج البلاد وغير ذلك من العقوبات، إذا في السياسة فلا مكان للصراحة المطلقة، فيلجأ المتحدث عن السياسة إلى الترميز والتعبير بالرسائل المشفرة.

كما نعد للمسكوت عنه من باب النقد السلس المستساغ أو عندما نرغب في إيصال رسالة دون إهانة المرسل إليه، وذلك لعدم تشويه صورته وذلك بالتخفيف من لهجة النقد اللاذع.

وقد تكون من أسباب هذا الإضمار أيضا "اللغة" لأن خير الكلام ما قلّ ودل، لأن التخاطب يقتضي مبدأ الاقتصاد في اللغة، فيتوجب علينا أن نقول كل شيء بأقل كلفة ممكنة⁽²⁾.

¹ - ينظر، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984، ص:142.

² - عبد القاهر الجرجاني، أعمال ندوة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، 1998، ص:160.

ويمكن إرجاع ذلك إلى المعرفة المشتركة، نظرا لامتلاك المتكلم والمتلقي نفس المعرفة، كما قد تكون أسباب الإضرار راجعة للذات المتكلمة، وذلك لارتباطه بالعوامل النفسية؛ كالخيال والفكر والشغف والملكات التي يمتلكها الفرد، فكل هذه الأسباب تجعله يستعمل الصيغ المضمرة وتوظيف المحسنات البيانية، كما نجد "فلوبير" في هذا الصدد يقول: «تنهشني التشابيه كما تنهش الحشرات الإنسان، وأمضي بسحقها، فجملي تعج بها»⁽¹⁾، فعلا كلما كان المرء ضليعا باللغة متمكنا منها، كلما جادت قريحته وأطلق العنان لخياله فتراه يتلاعب بالمعاني كيفما يشاء.

كانت هذه أهم دوافع الإضرار وأسبابه التي تستدعي المرء إلى أن يخفي في قوله معاني أو يسكت عنها، تاركا الكرة في ملعب المتلقي الذي يحاول بدوره فك الترميز للوصول إلى المعنى المراد، أو المعنى المستتر الذي اكتسى بحلة من الألغاز، وهذه الحلة كثيرا ما يكتسي بها حقل المحرم الذي يشمل كل من الدين والسياسة والجنس، باعتبارها ذات خطوط حمراء لا يجوز تجاوزها، لذا كان الإضرار الأنسب في مثل هذه المواضيع للتملص من المسؤولية وتجنب العواقب الوخيمة، التي قد تكبله بالقيود والأغلال عوض أن تخلد اسمه ضمن قائمة العظماء والمبدعين.

¹ - كاترين كيريرات، المضمّر، ص: 496.



الفصل الثاني

المسكوت عن السياسة



تبدأ حكاية السياسة منذ القديم في أحضان الدولة، قبل أن تتوسع لتصبح محور كل القضايا، بل والأكثر تداولاً في محيط المفكرين والباحثين، فكل فعل إنساني أخذ بعداً سياسياً، وكل قضية حياتية ومجتمعية تحتوي على مضامين سياسية واضحة أو متخفية، فكل شيء تم تسييسه¹، والجدير بالذكر أن التاريخ الإنساني يحكي دائماً عن العلاقة التي جمعت بين الشعراء والملوك، كما نلاحظ في تاريخ الشعر العربي أو بين الملوك والمفكرين والفلاسفة، لذلك فالانتماء السياسي يعتبر من خصائص الحركة الأدبية، باعتباره انعكاس لما يحدث أمام المبدع²، فيحاول هذا الأخير أن يحوله إلى عمل فني أساسه مجريات الحياة التي أبدع بواسطة تأثيرها عليه، وذلك برصد الحقائق وتصويرها، إذ تعتبر الحقيقة الوحيدة في هذا العالم المقهور هي الفوضى، حيث أصبح الإنسان مجرداً من الإنسانية يسعى إلى هلاكه والسير صوب تدمير ذاته ومجتمعه إلى أن فاحت رائحته وأصبحت السلبات أكثر من أن تداوى بالصمت والتهرب.

فكانت رواية "حكاية العربي الأخير" الإستشرافية التي نحن بصدد دراستها نقطة انزياح إلى مسار سلوكه واسيني الأعرج في تجربته الروائية، جاعلاً من الحاضر المتأزم نقطة انطلاق لأحداث ووقائع لاحقة في المتن الروائي، نحو مستقبل يتنبؤه ويخشى وقوعه...، وذلك من خلال فتحه لشرفات على التابو بأضلعه الثلاثة على اللغة، باعتبار أن السرد

1- ينظر، عبد الخالق عبد الله، حكاية السياسة، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006، ص:30.

2- ينظر، إبراهيم حسن، الرواية العراقية ووعي الحاضر، مجلة أعلام، العدد:10، تموز 1978، ص:54، 53.

هو المحور المركزي والأداة الفعالة في الكشف عما هو مغيب ومسكوت عنه في حياتنا وثقافتنا، إذ نجده في طرحه عمد إلى تقديم السياسة كعالم سردي متآلف ومنسجم. يجعلنا نعيد النظر في أوضاعنا العربية المتأزمة والسائرة بالأوطان العربية نحو الهاوية عوض السير بها نحو الرقي والازدهار، متوجها بصرخته للحكام والأرباب المترعين على كراسي الحكم والسلطان، لصدمة الحقيقة المرة التي وضعها أمام أعينهم، على وعسى يوقظ النشيج الداخلي، لتوضع الأصابع على الجرح العربي لكي لا يزيد تمزقه.

ومن المتعارف عليه أن الروائي الجريء في طرحه، يقع تحت حلقة من الضغوطات التي تؤدي به في الغالب إلى وأد أعماله، بحجة أنها غازلت السياسة أو فتحت شرفات السياسة على اللغة، ولكي لا تمنع أعماله وصرخاته من الطرح والإصدار، عمد أن يجعل مغازلته للتأبوهات عموماً وللسياسة خصوصاً، تَرْدُ بالمواربة تحت جناح المسكوت عنه، وذلك بالتلميح لا التصريح لكي يعطي لنفسه فرصة الولوج إلى متاهة السياسة وأغوارها وغياهبها، وإمالة اللثام عنها وفق نظرة متميزة ذات بناء درامي خادماً للرواية، محملاً للمتلقي عبء الكشف والتتقيب عن المخبوء القابع بين السطور.

ينطلق الكاتب في حديثه بإهداء جاء في جملة تنزل على المتلقي كصعقة تعصف به وتهز كيانه وتزعزعه، يقول: "العربي الجيد الوحيد، هو العربي الميت" وهي جملة مقتبسة من رسالة بعث بها الدبلوماسي الأمريكي، "باتريك سيزينغ" إلى المعهد العربي الأمريكي،

نشرت في الشرق الأوسط أخذها عنه لاحقا "جوش بوزينستن" أحد المتطرفين اليهود:

«أعزائي اليهود أقتلوا العرب الآن. العربي الجيد الوحيد هو العربي الميت».¹

فالكاتب من خلال هذه المقولة المقتبسة والمتكررة على السنة أعمدة السياسة الغربية، جاءت كصورة جنائزية للعربي والعقل العربي الذي وصل إلى قمة الاختراع والتكنولوجيا، إلا أنه بقي مشلول كقوة، ففتح لهم النافذة على نظرة الغربي للعربي، والتي كلها احتقار واستهزاء، لدرجة أنه يرى جودته في موته وفي رماده لا في حياته، كأنه عبء على وجه الأرض، فهو هنا عمد إلى العلاج بالصدمة التي تعصف بالإنسان وتوقظه من غفلته، وتجعله ينفذ الغبار عن نفسه ويسعى قدما لدحض هذه الفكرة والمقولة التي حقته أيما تحقير، فسعى أن يجعل العرب يعرفون صورتهم عند الآخر بعيدا عن النفط والمصالح، والشعارات الكاذبة والخادعة والتي مفادها أنتم العرب الأحسن والأجود...، كما أنها من جهة أخرى تؤكد لنا أن العربي الجيد والفعال لا مكان له في وطنه، فهو يعاني الاضطهاد والتهميش في وطنه، ولا تظهر مناقبه وجودته إلا بعد فنائه.

ليمر بنا نحو مقولة أخرى عربية تصف العربي في أبشع صورة لا تقل تحقيرا له عن المقولة السابقة ولكن بلسان عربي، يقول ابن خلدون: «فهم [العرب] متنافسون في الرئاسة، وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياء، فيتعدد الحكام منهم والأمراء، وتختلف الأيدي على

¹ -واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2015، ص:7.

الرعية في الجباية والأحكام، فيفسد العمران وينتقض... أنظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليفة، كيف تقوّض عمرانهم واقفّر ساكنه وبدلت الأرض فيه غير الأرض، فاليمن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانهم الذي كان للفرس أجمع...». "الرواية، ص:9".

فمن خلال هذه اللوحة التي تصف العربي وتعدد صفاته السيئة التي تثبت ما قاله الغربي وتؤكد بأنها ليست مجرد وجهة نظر لا تسمن ولا تغني من جوع. فلو أمعنا النظر في مقولة ابن خلدون لوجدناها تسلط الضوء على العربي وعلى فئة معينة تحديداً، هي فئة الحكام المتنافسون والمتقاتلون عن الرئاسة ولم يعط أهمية للصالح العام، ولا أن يكون الشخص المناسب في المكان المناسب، بل الأقوى هو الذي يظفر بالحكم والمنصب، وغياب الديمقراطية والنزاهة التي كثيراً ما تحمل الأوطان العربية شعارها، وتؤكد بأن العرب متنافسون على السلطة والكل يلهث نحو أطماعه، ساعياً نحوها مستعد أن يدعس بقدمه كل من يعترض طريقه، وإن كان أقرب الناس إليه، فالنزاهة و الديمقراطية والأخلاق تغيب وتتلاشى وتضمحل على الرغم من أنه "...من الإمكان أن تصبح السياسة ذات طابع أخلاقي... ألتمس في غيرهم الوسائل لتحقيق الثقة في الحكومة عن طريق إصلاح المؤسسات وانتخاب السياسيين من أصحاب المثل العليا".¹، ولكن أين الديمقراطية؟ وأين من يضع في حسبانها كيف سيكون مصير الأمة؟ وبأي الطرق سيسير؟ وبأي الأفكار

¹ - أرسطو طاليس، السياسة من الشرق والغرب، تر: أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة والنشر، ص:7.

سيبني؟ وكيف سينظر شعبه إليه؟ وعلى الرغم من أنها تتنافى وهذه المساعي التي ثمارها الهدم لا البناء، «...فليس من الفضيلة أن يقتل الرجل بني مدينته، أو أن يخون أصدقاءه، وأن يتجرد من الإيمان والرحمة والدين، إذ أن الإنسان قد يحصل بهذه الطرق على السلطة، ولكن ليس على المجد»¹

مرورا إلى عبارة عراق العرب؟ فهي تجعلنا نقف أمامها متسائلين هل هناك عراقيين؟ واحدة للعرب وأخرى لغير العرب؟ أو للعراق التي أصبحت تحت قبضة الغرب؟

فهي دلالة على انقسام العراق وانشطارها بين العراقيين والأكراد المحتلين للنصف من العراق، والمتحالفين مع القوات الأمريكية لإسقاط نظام صدام حسين سنة 2003 م²، الذي كان كشوكة في حلق الأكراد والأمريكيين في آن واحد، فبصلاح الحاكم دخلت أيادي خارجية سحقته وأسقطت نظامه البناء وقضت عليه، كما أنها تجعلنا نقف عند نقطة مفادها أن كراسي الحكم العربي لن يصل إليها من يكون أهلا لها، ولا من يخلدها ويحصنها من أن تطأها أيادي غاصبة، بل سيرأسها إلا من يزيدها غرقا وهذا بفعل فاعل وليس بمحض الصدف، مرورا إلى مقولة البريطاني "جورج أورويل" صاحب رواية 1984 يقول: «... نحن موتى، حياتنا الحقيقية الوحيدة تكمن في المستقبل، سنشارك في صنعه حتما، لكن في شكل حفات من غبار وكومات من عظام...»؛ "الرواية، ص:9". فهي نظرة استشرافية تحيننا بأن الإنسان إن سار على هذا النهج والخطى، فإنه سيصنع

¹ - المرجع السابق، ص:11.

² - <https://ar.wikipedia.org>

آخرتة بيده فعوض أن يسير نحو صلاحه سيسير نحو الهاوية لا محال، لأنه مسير
 بسياسة فاسدة منخورة بخلافات وصراعات جعلت مصير البلاد مهدد وثرواتها منهبوبة
 وقرارها الوطني منتهك، وكأن خيرات بلاده أصبحت نقمة عليه. ليمر بنا إلى مقولة أخرى
 تحمل من الاحتجاج والرفض الكثير يقول: «أصبح فيه المخبرون الصغار مؤسسة وطنية
 قائمة بذاتها، بعد أن تم دعمها بنظام علمي شديد التحديث في التعذيب النفسي والجسدي،
 نقود بالسوط الجماهير المتعطشة نحو سعادة وهمية قريبة، وحدنا نعرف مآلها»؛ "الرواية:
 ص:9"؛ فالمخبر: هو من يتحسس الأخبار محافظة على أمن الدولة؛ أي من تستعين
 بهم الشرطة في القبض على اللصوص. لكنه هنا يظهر بعكس المهنة الموكلة إليه، إذ
 يظهر بصورة الأمر الناهي الذي له كل صلاحيات التعذيب النفسي والجسدي، يقود
 بالسوط الجماهير المتعطشة نحو سعادة وهمية لا حقيقية، فإذا كان المخبر بكل هذه
 القسوة والبشاعة والجبروت فكيف سيكون سيده الذي أعطى له كل هذه الصلاحيات؟
 فالكبار يتسترون وراء إجرام الصغار، فلا يطغى الصغير إلا إذا كان سيده طاغية كبير
 وعليه فهو يحيلنا إلى تسلط الضوء على كل من وصل إلى الحكم والسلطة، فنجد في هذه
 المقولة من الدقة الكثير في وصف الحاكم وحاشيته المتجبرة على شعوب تعيش المعانات
 الحقيقية بكل حالاتها ومعانيها، في ظل هذه السلطة الديكتاتورية المتعسفة التي استعبدتهم
 عوض أن تسهر على راحتهم وسعادتهم، فجعلتهم يُسيرون بالسوط وهم متعطشين نحو
 سعادة وهمية، والسعادة الوهمية هنا؛ إحالة إلى الناس الذين يموتون جوعاً وبلادهم تلد

الخير الكثير والحياة كل صباح. عن الناس الذين يعيشون في الظلام والقمر بسط أنواره على أرضهم، والذين يموتون عطشا وبلادهم تشتكي من الفيضانات..

فكانت هذه الاقتباسات التي اقتبسها الكاتب كصرخة مدوية، مفادها أن التجارب كثيرة والأزمات تبسط نفوذها، لكن الدرس لم يحفظ، حاملة في يدها دليل الإدانة للعرب كلهم دون استثناء، وعلى رأسهم الحكام الذين لم يحمل من صفات الحاكم إلا التجبر والتسلط، ورموا بالصفات الأخرى وراء ظهورهم دون الاكتراث بما حصل أو سيحصل رغم كونهم المخولون بالتفكير في معضلات العالم العربي، وأن لا يتركوا المبادرة لغيرهم، آملا أن يكون لصرخته وقع وتأثير.

مرورا إلى شخصية "ليتل بروز"، التي تحمل دلالات عدة يقول: «في الطابق السابع... يتكلم ليتل بروز الجنرال مالكوم بلير، بحيث يرى الكل ولا أحد يراه». "الرواية، ص: 13، 14"، فعبارة (الطابق السابع) دلالة على الرفعة والشموخ والعلو فهي تحيلنا إلى السماء السابعة، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في (سورة الملك) وهي آخر طبقات السماء، والتي تحمل اسم "العجماء" التي تعني الدرر الأبيض¹، وكأن هذا الحاكم لا يرى أنه سيدي للأرض أو الوطن، بل وكأنه سيد السماوات والأرض ومن عليها، فهي دلالة على ما يحمله القادة من الطغيان والتجبر، وأنه ليس كسائر البشر، ورغم ما يحمله هذا الطابق من قوة وعظمة إلا أننا نجد من يسكنه وصف بأنه (يتكلم، ويرى الكل ولا أحد

¹ – fatwa.islamweb.net

يراه) فهو ورد بصفتين متناقضتين تماما؛ فالأولى دلالة على العجز وعدم المقدرة، والثانية تحمل من صفات التعظيم والتقديس كثيرا، خاصة عندما نربطها مع ما ورد في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } الأنعام الآية: 103".

وقوله أيضا في محكم تنزيله: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} " الشورى الآية. 51".

فلو نظرنا إلى المقولة من جهة أخرى نجدها تحيلنا إلى رمز آخر للقوة وهو جنرال عربي عالم بكل الخبايا والذي لا تخف عليه خافية مهما صغرت أو عظمت، وذلك باعتبار أن « الملك يقف على قمة البشر في الشرعية الإلهية والسلطة على السواء »¹.

لكن ممثلوا العرب فاقوا أوصاف المعقول وبلغوا قمم التجبر الذي يتنافى والمهمة والدور الذي هم بصدد أدائه، رغم كونهم في الأول والأخير ما هم «سوى خدام عند الأمة»²، وتواجههم هنا لا للتجبر والنهب والسلب، وإنما أن ليسعوا وفق مصالح الدولة باعتبار أن « العقد قد تم بين أفراد المجتمع الطبيعي للتخلص من الفوضى والدخول في مجتمع منظم، تحت رئاسة حاكم واحد من بينهم، وبالتالي فإن الحاكم لم يكن طرفا في العقد وإنما طرفه الوحيد هو الأفراد، فلما كان كل فرد حريص على حب البقاء وإشباع مصالحه وأغراضه

¹ - ينظر، أرسطو طاليس، السياسة، ص: 13.

² - محمد نصر مهنا، في تاريخ الأفكار السياسية وتطويع السلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص: 365.

الذاتية، تولدت لدى الجميع ضرورة التعاقد على أن يعيشوا معا تحت رئاسة واحد يتنازلون له عن كافة حقوقهم الطبيعية، ويوكلون إليه أمر السهر على مصالحهم وأرواحهم «¹».

فالهدف هنا من هذا المروؤوس أن تسود الحرية والعدالة والمساواة وذلك بتوقيع عقد الجزاءات الرادعة على كل من يحاول الاعتداء على حقوق الأفراد وحياتهم. ولكن في الواقع نجد النقيض هو الساري في المعاملة بين الحاكم والرعية، وذلك من خلال وصفه لرمز من رموز السيادة المتمثلة في الحاكم والمسؤول الغربي الذي يرأس قلعة في الربع الخالي المغروسة في قلب الأرض العربية، بأشع الصفات التي تجعله ساخرا منه وناقما منه في مواضع عدة من الرواية، وبواسطته فتح لنا نافذة عن القادة والمسؤولين عامة والعرب خاصة، وإلى أي حد بلغ تجبرهم، إذ يواصل حديثه بواسطة هذا الرمز العاجز، في فتح الشرفات على الحكام يقول: «..انتفخ من شدة عدم الحركة كأبي جنرال من جنرالات العالم الثالث، يعيش عزلة مقبلة..». "الرواية، ص:16".

ينطلق الكاتب هنا من وصف عام، يشترك فيه أغلب الحكام على وجه الكرة الأرضية، ليسلط الضوء على فئة مخصوصة من الحكام، كما في هذه العبارة التي حدد فيها الفئة التي هو ناقد منها؛ وهم حكام العالم الثالث، وخصوصا حكام الخليج العربي المتخاذلين الذين لا يحركون ساكنا، لدرجة أن الانتفاخ استوطن في أجسادهم بسبب عدم الحركة، الناتج عن الاستعباد التام للرعية، التي يفترض أنه هنا في هذا المنصب من أجل

¹ - ملود ديدان، مباحث في الدستور السياسي، ط1، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2005، ص:19.

خدمتها، دون سعي منهم للقيام بصنيع يشهده التاريخ لهم أو «..أن يسمح للعملية السياسية، أن تسير بمزيد من العدالة».¹، وهذه الصفة لا تقتصر على حكام الخليج دون غيرهم، بل هي صفة كل عربي وصل إلى السلطة وترجع على العرش.

يقابل هذه الصورة المخزية للحكام وخصوصا فئة الجنرالات التي تمثل طبقة عليا من السياسة بصورة أخرى يقول: «..شاب بنيته قوية، انتمى للجيش في وقت مبكر ..»؛ الرواية، ص: 156. فهو يحيلنا إلى الجيش الوطني اليافع بالحيوية والشباب والحياة، لكنه من أجل لقمة العيش انظم إلى صفوف الجيش الوطني، ليكون حامي حمى الوطن، لكنه وضع في الواجهة واستغل أبشع استغلال، والحاملين للألقاب والأوسمة متخفين في الظل...، وكل هذا يعكس الوضع العربي والجزائري المزري والذي تفجر منذ زمن.

يواصل وصفه يقول: «خفتت الإنارة الداخلية قليلا وتعمقت ظلمة الزاوية التي كان يتخفى فيها ليتل بروز، الذي تُسمع حركة كرسيه وهو ينسحب...». الرواية، ص: 26.

فهي صورة صارخة بالعجز والوهن وعدم القدرة، ولمن هو بحاجة إلى يد العون، بالعربة يتحرك وبالأعضاء الاصطناعية التي تعوض الأعضاء المبتورة يعيش.

يقول: «..فأنا خارج الحسابات البيولوجية وحدها، تركيب الذكر الاصطناعي للتبول وحده يقتضي مني ساعات من العرق، والتعب والخوف من الإنسدادات غير المحسوبة...»

¹ - أرسطو طاليس ، السياسة، ص: 42،

تترلق نحو المرحاض متكئا بيده الوحيدة، اليمنى على الحائط القديم توقف قليلا، تنهد عميقا ثم واصل مشيته المرتبكة حتى المرحاض، عندما ارتاح قليلا في القصعة الملتصقة بمكتبه، في الغرفة البيضاء، مسح عرقه البارد...». "الرواية، ص: 29".

فهي صور كلها بؤس ومعانات لشخص يكاد يعيش بصعوبة، ولكن الأصعب منها أن يكون سيذا وحاكما ومسؤولا على بلاد وأرض وأرواح، فلا نتعجب أن تكون البلاد في أسوء الحالات، وأن تكون في الحضيض لأنها تحت قبضة حاكم عاجز، إلا أنه في حضرة عجزه من يسر البلاد؟ وفي عز انشغاله بآلامه من يسهر على خدمة الوطن؟

فمن المفروض في حضرة هذا العجز، نجده رفع الراية البيضاء لمن هو أجدر بالمنصب لكي لا تتأزم الأوضاع وتسوء، ولكن نجده يصدنا بحقيقة مرة مفادها: «...ثم أن رتبة ماريشال لم تعد إلا على بعد خطوة، لن أخرج من هنا إلا بها....»؛ "الرواية، ص 28". فعلى الرغم من أنه عالم بحاله ووضع المزري، الذي جعله يعيش في عزلة مقبلة والأدوية والمهدئات لا تفارقه ولا يفارقها، إلا أن أطماعه لا تعرف طريقا للاستسلام، فمصلحته أكبر من أن يتنازل أو يستسلم، فعلى الرغم من أن المناصب العليا يستحقها الحكيم العاقل الذي يهتدى برأيه، وتواجهه في منصب حساس خادما للبلاد والعباد، ولكن في بلادنا قلبت القاعدة فأصبحت السلطة يصل إليها من له قوة في الهدم لا في البناء والتعمير، مهما كان عاجزا أو جاهلا، وشذوا عن القاعدة القائلة "العقل السليم في الجسم

السليم" ، فإذا كان جسد حكامنا في حال يرثى لها، فكيف سيكون العقل ومن ثم الحكم والمآل؟

يقول: «تمضي الأيام كما الريح الفارغة...»؛ «الرواية، ص:27». أي أن الأيام مع هذه الفئة العاجزة المتربعة على كراسي العرش، تمضي نحو السوء والحضيض يوما بعد يوم، خالية من كل منفعة ولا تأتي بحصاد نافع، حالها حال تلك الريح التي كلما حلت كسرت ما كان مستقيما وسحقته، لأنها ريح عقيم مدمرة، والأيام الفارغة تنبئ بالمستقبل العقيم للأمة العربية عموما وللجزائر خصوصا، وذلك لكون الحاكم ليس أهلا للحكم وخيرة الأبناء من الوطن فارين في أحضان العدو مرتمين، رغم كونهم طاقة فعالة ومادة رمادية ستسهم في تطوير البلاد يقول:

«...كل الإجابات كانت متشابهة، تخصصك لا يفيدنا، في الأخير اقترح عليه العمل في مكتب مترجم لميناء، لكنه أحس بسرعة بأن شيئا من الغباوة والسكينة والرضا عن النفس...». «الرواية، ص:118».

«...لكن في النهاية لم يبق أمامه إلا مكان مؤقت أصبح قاعدة صعبة التحمل، العمل في المخبزة». «الرواية، ص:118».

ومن هنا نرثي أنفسنا وحالنا مآلنا، إن كان العالم والمبدع في وطنه لا مكان له، مع الإقرار أن تخصصه لا ينفعهم، ويجد نفسه مضطر لأن يتقلد منصب لا يليق بمكانته،

ورغم ذلك يبقى بوطنه متشبثا والحسرة والخيبة تعصر قلبه، وكأنه دفع بالوطن إلى التيه وذلك بإفراغه من مادته الرمادية الفعالة وعن قصدٍ.

إذ أصبحت مادتنا الرمادية الفعالة تفر أو تسلب من بين أيدينا بالتهديدات أو بالإغراءات الحاملة لشعار المكر والزيغ يقول: «...العالم لا هوية له ولا وطن فهو ملك للبشرية جمعاء». "الرواية، ص: 96" فهي تنفي أن يكون العالم ملكا لبلاده ووطنه، بل هو ملك للإنسانية والبشرية جمعاء، رغم أن كلمة جمعاء نجدها في الشعارات والحوارات والخطابات تقحم نفسها وتفرضها بقوة، ولكن في ساحة التطبيق فلا نلمح لها أثرا، وكأن البشرية متوقفة على أمريكا دون غيرها، أما البقية فقد نفيت عنهم صفة البشر والبشرية، وفي المقابل نجدها تستحوذ عن العلماء الذين تسيرهم كيفما تشاء، وتزرع فيهم ما تجني ثماره خيرا لها دون غيرها. يقول:

«...أمريكا تعبت كثيرا لتكوينك لهذا من واجبها حمايتك». "الرواية، ص: 110".

فهي إشارة إلى أمريكا التي تسحب نحوها من تحتاجه، حيث فتحت طريقا نحو عزها ومجدها والمتمثل في البعثات الجامعية، من مختلف الأوطان العربية وغير العربية نحوها، والتي جعلتها تضع يدها عليهم بيسر كبير، وفي الأخير تقيد حريتهم بحجة أنها من زرعت ويجب أن تجني الثمار، وكيف تسلم منجزا صهرت هي على انجازه وتبنته منذ أن كان لاشيء، لمن أنجبت ورمت دون أن تكابد عناء التضحية والسهر والحماية والرعاية.

يقول: «..رأى الهضاب وهي تتسحب مشكلة أشكالا مختلفة من وراء المطر الذي تحول إلى غلالة بيضاء تخفي خلفها كل شيء، أو تكاد. لابد أن يكون شيء ما تغير في هذا العالم الأصفر الذي لا حياة فيه، إلا للعقارب والحيوانات التي منحنتها الطبيعة سبل المقاومة، أو في طريقه إلى التغيير. كم من الزمن مر يا ترى على هذا العبث؟؟... شكل الوقت هو، هو، كما ولد في بدء الخليقة، لا حدود لسيوله القاسية. كل شيء يتشابه، الليل والنهار وكل ما تراه العين...». الرواية، ص:43.

نلمح هنا وصف دقيق لحال أمريكا التي تحولت بفضل الأمطار والخيرات والثروات العربية التي نزلت من السماء على أرضها القاحلة الجرداء، فانسحبت هضابها جراء هذا المطر، والغلالة بحسب "معنى المعاني الجامع" الغلالة: اسم، والجمع، غلالات، وغلائل، والغلالة: ثوب رقيق يشف ما تحته، وهو لباس داخلي أو قميص رقيق تغطيه ثياب خارجية، وغلالة العين: غطاء وقاية رقيق يحيط بها، وغلالة النوم: ثوب يلبس عند النوم¹، وعليه فالغلالة: هي إشارة إلى الشيء الرفيع الثانوي، الذي يغطي أمور أساسية والذي أخذ الصدارة عوضا عنها، وأصبح هو الظاهر والجلي والعظيم والمهم هو المتخفي، حاله حال الجهود العربية في العالم، التي تم حجبها وتغطيتها أو تكاد بأغطية وهمية تتراءى للذي يرغب في إمطة اللثام عن الحقيقة، في "هذا العالم الأصفر الذي لا حياة فيه لولا جهود عظيمة حجبت، والتي لا حياة فيها إلا للعقارب والحيوانات التي

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ط2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، ص:660.

منحتها الطبيعة سبل المقاومة"، وهي إشارة دقيقة لهذه الشعوب التي سادت ومنحها العربي سبل المقاومة منذ عصور غابرة، فأصبحوا بهذا الدعم والاستغلال مساندين ومؤيدين لدرجة أنه أصبح لا يمكن الفصل بين الخطأ والصواب، ولا وضح النهار وظلمات الليل وغياها، إذ أصبح لا مستقبل للحياة يقول: «...أنت تعرف، أنه بلا جنون لا مستقبل للحياة». "الرواية، ص:45".

فأي حياة يا ترى جزم بأنه لا مستقبل لها؟ فهل هي حياة أمريكا التي أصبحت في قمة تسلطها وتطورها؟ أم العرب الذين سعوا في تطويرها على حساب أنفسهم وكرامتهم وأمنهم؟ فهي إشارة لحياة عربية خالية، من كل ما ينهض بها نحو المستقبل الذي يسير نحو العدم والزوال، يقول: «..أحتاج إلى أن ألبس العقل...»؛ "الرواية، ص:45". فهي دلالة على أن العربي فاقد للوعي والرشد، وكأنه في حال سكر وجنون وعدم صحو، ويحتاج إلى أن يلبس العقل ومن ثمة الوعي والحكمة، لكي يغير مجرى مستقبله السائر إلى اللامستقبل يقول:

«...أنت صنعت من الغيم فراشك، وتخطيت كل العتبات التي غرستها العواصف والرياح وسيول الخوف، يوم خانتك المعابر والمسالك المتخفية ..»؛ "الرواية، ص:46". فهي إشارة إلى أن هذا العربي الذي ناقض نظرية داووين ساحبا وراءه ذئبا لا قردا، والذي يحمل صفة القوة والذكاء والدهاء الذي صعد به نحو مجده، ومن الغيم صنع فراشه، ومن العدم صنع مجده، وتخطى كل العقبات التي غرستها عواصف الطمع، ورياح النهب، لولا

هذه المسالك المتخفية، التي جعلته يتعثر وذلك بأن صنعوا له مصيره. يقول: «...وأن العلماء الذين أشرفوا على إنشاء هذه المخابر الطردية الصغيرة، في آرابيا التي لا تخفى على أحد، ثم إن المعلومات التي تصلهم من خلال الأقمار الاصطناعية والمخبرين المبتوثين في كل مكان، دقيقة جدا ولا تحتل أي شك»؛ "الرواية، ص.96"

فأمريكا لم تكتف بما سلبته من العلماء، بل سعت إلى غرس الرقابة في قلب العرب لكي لا يفلت من قبضتها، ولا يخرج من دائرة سيطرتها عليهم، وإن حدث أي تغيير تكون لهم بالمرصاد فتسلب روحهم قبل ميلادهم، لأن لاشيء يترك معها للحظ وللصدفة، وأي تهاون بالنسبة لها هو معبر للهلاك وخروج من السيطرة، لأن العالم اليوم أصبح ضحية للصدف غير المحسوبة، التي تذهب بصفاء العيش وأمن البلاد يقول:

« ناموا قريري العيون. عين لينل بروز ترعاكم جميعا، تعرف ما يضركم وتعرف أيضا مالا ينفعكم. ومالا ينفعكم وهو الأهم بالنسبة لنا، لأننا لا نريد الإنسان الناقص....». "الرواية، ص:99".

فأمريكا لا تهتم لأمر الإنسان الناقص الذي يسعى لزواله بنفسه، وإنما شغلها الشاغل هو ذلك الكامل المتميز، الذي يعتبر صدفة محسوبة بالنسبة لها، فهي ساعية من أجله إلى حين فقط، ثم يصبح مصيره الهلاك كغيره، بعد أن تمتص نسغه ورحيقه. وذلك حسب قانون الغاب الذي أعطى الأحقية للقوي على حساب الضعيف، وذلك بدءا بسعيها إلى توقيع عريضة مضادة لانتشار الأسلحة النووية». "الرواية، ص:188". فالتوقيع على هذه

العريضة يعتبر أمر طبيعي وخادم للإنسانية جمعاء، إلا أنه في المقابل أعطى الأحقية لدول دون أخرى، للسيطرة وكسب ما ليس من حق الآخر بكسبه، رغم كون هذا الآخر المسحوق بهذه الأسلحة التي تردع عنه الطغاة والمعتدين يحتمي، لكي لا يصبح لقمة سائغة للراغب فيه.

مرورا إلى آدم العربي الذي فرض عليه السجن والأسر عنوة وإلا عليه بتعويض كل سنوات الدراسة، وفي الظاهر ادعاء محكم بحمايته، رغم أن الواقع يقول أنه مجبر على إعطاء أمريكا ما هي راغبة فيه مقابل ما تعلمه أيام دراسته وتكوينه. فحريته والعودة إلى حياته الطبيعية، إن كانت هناك بعد إنهاء القنبلة النووية حياة، متوقف على منجزه النووي، فعمد إلى المساومة والمقايضة ولكن بالإلحاح على طلب رفيق يستمد منه القوة، والصبر على مصيره الذي فرض عليه عنوة، وكان هذا الرفيق سلحفاة، باعتبار أنها رمز للقوة وتقادي المخاطر حتى النووي منها يقول: «...سلحفاة ضائعة في مساحة مليئة باللاجدوى...»؛ الرواية، ص: 95

إذا كانت هذه حال السلحفاة التي تستطيع أن تتفادى الخطر والمهالك بكل أنواعها، وتصمد أمام النووي أصبحت ضائعة، في جو مليء باللاجدوى فكيف سيكون حال آدم العالم العربي؟ الذي صنع بلمسته السحرية سلاحا فتاكا، ورغم هذا لم ينج من التيه والضياغ، وإقحام السلحفاة هنا للتأكيد والبرهنة على معانات العلماء الذين كانت عقولهم النيرة والمنتجة نقمة عليهم، عوض أن تكون سبب نعمتهم يقول: «...لكن ما الذي جاء بك

إلى هذه القلعة وأنت الرجل المحب للحياة». "الرواية، ص:143؛ من المتعارف عليه أن أمريكا هي بلد الحرية والانفتاح التام الذي لا تحده حدود، ولكن يبدو هذا شعار فقط، أو أنه يقتصر على فئة دون أخرى، وأن الداخل إليها سيكون مسلوب القوة وتسطر خطاه التي لا يجب أن يتجاوزها وكأنه إنسان آلي يسير مسيرا لا مخيلا.

مرورا بنا نحو الأوضاع المزرية في الوطن العربي، وما زادها تأزما، تلك المناصب التي تقدم للحاشية يتم اختيارها كما يحلو لهم يقول:

«...هو من أتى به ورسمه في هذا المكان الذي تتسج فيه الأسرار...»؛ "الرواية، ص:19" فالمناصب لم تمنح لمن يثبت جدارته بأحقيتها، وإنما يهبونها لمن يخدم مصالحهم ويتغاضى عن أخطائهم، ويكون مستودع لأسرارهم وشريكا لهم في مستنقع العبث. لأن الحاكم المتسلط ما حاجته إلى النزيه الذي يعرقل مخططاته، وكأن الأراضي العربية عموما منها والجزائرية خصوصا، أصبحت مرتعا للوحوش الذين يغيرون القدر ولا يغيروهم، فكل هذه الظواهر تتطور بشكل كبير، ولا يمكن أن يخضع ذلك لمجرد الصدفة، التي تمزق أوصال العالم العربي والوطن الجزائري يقول:

«..أصبح غير مرتاح لعودة الماريشال بهذه الطريقة وعزله للوسيط الطيب الوحيد بينه وبين الناس في القلعة، سيرجون وعوضه بنائبين لا أحد يتحملهما أبدا، ولا أعتقد أنه يوجد واحد في القلعة يحبهما: بيرل غروسمان وفرناند ليفي». "الرواية، ص:303".

هنا نلمح الهوة الكبيرة بين الوسيط الذي يمثل الحاكم، وبين الشعب الذي يفترض أن يكون وسيطا بينهم، فهذا دليل على التنافر وعدم التفاهم والاتفاق الذي هو مطلوب جدا في مثل هذه الحالات الحرجة، وعدم محبة الشعب للوسطاء بينهم وبين الحكام، إشارة على التنافر الكبير بين الحكم والمسؤولين والشعوب، ومن ثم إلى العبث والصراع، الذي يفترض أن يوجه نحو العدو والدخيل لا بين أبناء الوطن الواحد.

لكن دائما وكثيرا ما نسمع عبارات مثل: أبناء الشهداء، بلد المليون ونصف المليون شهيد، أبناء صلاح الدين يقول: « العربي... كائن غريب متعلق حتى الموت بفضلات التاريخ ». "الرواية، ص:22".

المشكلة هنا أننا نتصارع من أجل ماض لم نعشه، ونقدس حياة أشخاص ماتوا من أجل مستقبل أجيالهم، فهم كانوا ينظرون إلى كرامتهم بعين الغد ونحن ننظر إلى كرامتنا بعين البارحة، فمن سيصنع مستقبلنا في ظل هذه النظرة الموجهة نحو الخلف؟

نكبة حقيقية أن يكون الإنسان لا يثبت وجوده في هذه الحياة، دون أن يترك بصمة تخلده أو يشهد لها التاريخ، ويبقى على الأطلال باكيا، وهو سائر نحو الهاوية خاضع منقاد لا يحرك ساكنا يقول: «..الإنسان يقتل نفسه بنفسه..». "الرواية، ص:21".

فهو يؤكد على أن الإنسان العربي يسير نحو هلاك صنعه بيده، فإن عاش مستسلما للظلم أكله الموت البطيء وسحق من حيث لا يدري، وإن ثار على الوضع دخلت أيادي

خارجية بحجة أن ترفع عنه الحيف والظلم. يقول: «...قادوه مثلما يقاد فأر التجارب نحو حقه..». "الرواية، ص:403". فعندما يثور الشعب على النظام وتتأزم الأوضاع، سيعطي فرصة للغريب بالتدخل بحجة الإصلاح، ويضع يده على البلاد مباشرة عوض الوساطة والتسيير من بعيد.

يقول: «...لا أريد أن أدخل في صراع مع عساكر البحر الأحمر ومضيق قرمز، هم أصحاب القرار الأعلى...». "الرواية، ص:19". أي أنه لكل حاكم سلطة تعلوه ويكون ممتثلاً لأوامرها، فليس من الصدفة أن يكون الحكم العربي بهذه الهشاشة وبهذا الجهل، وعدم القدرة على النهوض بالبلاد، وإبعادها عن كل ما يضعها في دائرة الخطر ونحن من أنجبنا صناع النووي وأسلحة الدمار الشامل، ومن قوى سواعد الغرب وجعلها تنتظر إلينا نظرة تخلف، وهي العالمة بالحال أكثر من غيرها، باعتبارها من أسس مدارس خاصة لاغتيال علماء العرب، أل هذه الدرجة صلاح العربي وفلاحه خطير عليها؟ وتمزيقه وحصره بين حاكم مسلوب القوة كبيدق في رقعة شطرنج، وعلم يكتف أنفاسه ويجهض قبل أن يخرج إلى النور؟

يعود بنا الكاتب إلى المسؤول العاجز، الذي يتربع على كرسي العرش يقول: «...في مثل هذه الحالات الحساسة لا يتدخل، يبقى هو عادة في الظل يتابع ما يدور أمام عينيه، إذا وجب التدخل، يفعل ذلك بدون أن يظهر، وإلا يكتفي بالمتابعة الجادة ويتم الأمور لاحقاً مع نائبه سيرجون ». "الرواية، ص:34".

ربما يكون عذرا مختلفا للتستر عن غياب الحاكم، الذي يفترض أن يكون حاضرا بصفة رسمية ليناقد المسائل والقضايا الأمنية الحساسة التي لا يمكن أن تناقد بالواسطة أو بالتكليف، وهذا مرده للوضع المتأزم والصحة التي تشكو اجتماع العلل عليها، ولكن بطرح لا يحط من قيمته بل برفعه إلى مصاف الإله الذي لا يمكن لأحد أن يراه مهما كانت مكانته، ويكون بينهم حجاب وفاصل أثناء التواصل. فهذا التخفي يجعل منه أسطورة زمانه، ولكن عندما نتأمل العبارة جيدا ندرك أن ما هذا الحاكم العاجز إلا قناع تتخفى وراءه جملة من اللصوص والخونة يقول:

«...ما هو موجود صنعته القرون المتتالية ولم يصنعه الأفراد الصغار مثلي ومثلك، إذا أردت أن تكون زيتا تسهل الطاحونة. ممكن. وإذا أردت أن تكون غير ذلك ممكن أيضا، ولكن عليك أن تختار مهنة أخرى..»؛ "الرواية، ص: 34، 35".

فخروج العربي من عز مجده وانتصاراته، ودخوله في دوامة من الحروب والفناء والفقر لم يكن محض صدفة، بل هناك أيدي خفية تسيره، هي التي سعت إلى هندسة خطي العرب، وذلك بوضع خطوط لهم لا يمكن أن يتخطوها، وخاصة لمن يسيروهم ويرأسهم. لهذا تعلم حكامنا كيف يكونوا زيتا لهذه الآلة التي تدير العالم وتستغل العرب. يقول: «...نحن لا نريد إلا أن يظل وجه أمريكا ناصعا وقلعة الحرية و الحداثة..». "الرواية، ص: 36". وهذا ما يؤكد أن أمريكا هي الطاحونة التي يجب أن يكون الحاكم العربي زيتا لها لكي لا تفقد حركتها، وتتعطل أجهزتها وعناصرها، وبهذه الطريقة تضع أمريكا يدها

على كل غال ونفيس "البترول، العلماء. المعادن. الأراضي..." التي تجعل العربي قد يتصدى لها ولعدوانها المحتمل في أي لحظة، يواصل حديثه مؤكدا قوله، يقول: «الكبار يظلون في الظل...»؛ "الرواية، ص:38".

فهي جملة صارخة بالتواكل على الغير في التسيير من جهة، وهم ليس لهم إلا الظل والرفاهية ورغد العيش دون أي جهد يذكر لهم، ولكن عندما ننظر إليها من زاوية أخرى، أن فوق حكامنا حكاما آخرين، يسIRONهم من طرف خفي وهم من شلوا حركة العربي، وجعلوه يتخبط في مصير مفروض لا مقدر عليهم، والذي هو سائر بالعربي الراضخ والمستسلم نحو الهاوية يقول:

«...كنت أعرف أن زما مظلما آت لا محالة سيعمي البصر والبصيرة، وسيحرق النفوس قبل الأجساد، ويغرب أهل البلاد ويسكن بأرض الأجداد غرباء القلب والروح، لهذا سأظل كما أنا...». "الرواية، ص:42". فهو يقر بحلول زمن مظلم سيعمي البصر والبصيرة، وسيحرق بياض القلوب ونقاء النفوس وسيعمي البصر والبصيرة، ويغرب أهل البلاد ويسكن بأرض الأجداد غرباء القلب والروح؛ ولكن المخزي أن يكون هذا الغريب الساعي بالوطن نحو الزوال من رحمها وصلبها، وأن يكون سعيه من أجل غيره على حساب كرامته ونخوته.

يقول: «...كأنه عيني فلوس أمه أعمى...»؛ "الرواية، ص:373". يحمل هذا الوصف كثيرا من الدلالات أولها؛ أنه "فلوس أمه" فهي توحى بالعجز وعدم المقدرة والتبعية لا

الاستقلالية، والأعمى فهي تنفي عنه صفة الإبصار التام والهداية في قصد المسالك، وأنه بحاجة إلى من يقوده، وليس هو الذي سيقود، فكيف وهو رئيسا وحاكما وقائدا، فهي صورة تحمل من الإدانة والعجز الكثير.

فهذه المجريات التي تحدث، ما هي إلا مقدمات وتمهيدات لنكبة ستحل قريبا، وستجعل الإنسان العربي لا يشعر بالحق الذي يراه ولا يتدبر الموعظة التي أمامه وسيسير بلا وعي ولا إدراك، نحو حتفه الذي صنعه بيديه، ويحل في أوطانه من سعى إلى سحقه وإبادته وطمس معالم وجوده، وذلك لغياب طبقة سياسية جديدة ونظيفة، قادرة وفاعلة وقوية تقدم نفسها في انتخابات وتفرض شفافيتها وتمنع الفاسدين من تزييفها مرة أخرى، وهذا الغياب مؤداه مواصلة المتطفلين ابتزاز البلاد تحت شعار المال مال الدولة وحياتكم ملك لكم، وهذا ما سيذهب بها نحو الهاوية، وبنا نحو الانقراض.

إلا أنه بعد تسليطه للضوء على الأوضاع العربية المزرية وإلى ما هي آيلة إليه، والدول الغربية وما هي ساعية إليه، يمر بنا إلى قلعة متمركزة في قلب الربع العربي الخالي، وهي "قلعة أميروبا" التي نشأت عن تحالف الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، المغروسة في أرض العرب للسيطرة على خيراتهم الزائلة من بين أيديهم نحو أيادي الغرب، والتي نشأت بعد زوال العرب وضياع أرضهم التي لم يبقَ منها إلا الصحراء، التي تمثل الخير الكثير الذي استحوذ عليه الغربي، ويمكن أن ننظر إليها من زاوية أخرى بأنها تتمثل في إسرائيل، التي ضربت جذورها في قلب الوطن العربي، وفي الأراضي

الفلسطينية، وكذا الاحتلال العراقي الأمريكي الذي وضع يده بل أنيابه على العراق وقلب كيانه، إذ تجنب الكاتب التفصيل وعوض كل هذه الدول المغتصبة للأراضي العربية بقلعة أميروبا، على الرغم من أن القلعة هي اسم ضارب في القدم ولا تكون حديثة النشأة، ومن المتعارف عليه أن الأراضي العربية لاشيء ضارب على سطحها منذ القدم إلا ما هو عربي أصيل، ولكن عندما نسمع عبارة "قلعة أميروبا" ندرك أن الغربي منذ القدم كانت له جذور حشرها في الأراضي العربية رغما عن أنفه، ساعيا من خلالها لطمس المعالم العربية والاستحواذ عليها، مدعيا أحقيته بها يقول: «...رسمت صليبا نائما على سطحها الأساسي...»؛ "الرواية، ص:49". فهذه العبارة تدل على أن الغربي استولى على الممتلكات العربية بكل أريحية، لدرجة أنه يعيش على سطحها متمركزا في المناطق الأساسية التي تمثل القلب العربي النابض بالخيرات والثروات يقول:

«...تحيط بها منطقة حفر آبار النفط والتقيب عن المعادن الثمينة»؛ "الرواية، ص:49". عندما نربط بين الصليب النائم الذي يمثل الغرب الذي تمكن من النفاذ إلى القلب العربي، والنوم هنا جاء للدلالة على الراحة التامة والرفاهية والاستقرار التي يتمتع بها الغربي الدخيل. وعبارة (تحيط بها منطقة حفر الآبار..). فهي تدل على أنه وضع يده على كل البلاد، بما فيها المناطق الغنية بالثروات الطبيعية والمعدنية، وأنه أصبح هو الأمر الناهي فيها وصاحب القوة والسلطان يقول: «....المال المتدفق ما يزال يمنح أمريكا فرصة تقادي مخاطر الانفجار النهائي.....»؛ "الرواية، ص:50".

فما مصدر هذا التدفق يا ترى؟ أهو عربي أم هناك مصادر أخرى غريبة؟ يقول: «..من النافذة المفتوحة على مصرعيها لاستقبال شمس خجولة، رأى سيارة الهامر الممتلئة عساكر مدججين بالسلاح، تقوم بنصف دائرة، ثم تتوقف على حافة الأسلاك الشائكة. يفتح باب الهامر وينزل منها عسكريان يتسلمان من شخص ملثم كأنه طارقي، أربع حاويات بيضاء صغيرة، شع لونها بقوة، تحت أشعة الشمس الصباحية، واستلم الملثم أيضا نفس العدد من الحاويات الصغيرة، وقفل راجعا نحو سيارته ذات الدفع الرباعي، بينما رجعت الهامر العسكرية نحو البوابة الشمالية للقلعة، غابت سيارة الطوارق وراء الأسلاك الشائكة...في عمق مساحة الأمان». "الرواية، ص:284".

ويقول أيضا: «شبكة منظمة تجوب الصحاري وتحدد ضحاياها من الناس الأصحاء... فيأتي الطبيب وينزع الأعضاء المطلوبة...، ثم يأتي من يوصلها إلى القلعة بطرق سريعة..». "الرواية، ص:371".

فالطوارق هذه الفئة المتمركزة في قلب العرب النابض وفي رحم صحراء الجزائر وليبيا، من أين ينحدرون؟ ومن خلفهم على الأرض الجزائرية والعربية؟ ولما تمركزه في الصحراء دون غيرها ياترى؟

من خلال هذه الفقرة نجد أنفسنا مبحرين مع هذه الكلمة، فهذه الفئة "الطوارق" لم تتراءى لآدم إلا عندما فتح النافذة على مصرعيها لاستقبال شمس خجولة، ووطننا لم يستقبل أي شمس خجولة، غير تلك الشمس المحرقة، المتمثلة في الاستعمار الفرنسي

الذي فرض نفسه عنوة وخرج بالقوة، والذي خلف وراءه هذه الفئة البشرية على أرض الوطن والمتمثلة في الطوارق المشكلين خطرا كبيرا، وكأنه ورم خبيث يدفع نحو الموت كل دقيقة بل وكل ثانية، وخطورته المتمثلة في تشكيل عصابة تمويل سوق المتاجرة بالأعضاء، وتهريب النفط والبتروال نحو الغرب، وسعيهم باستمرار للاستحواذ على الصحراء وخيراتها، ومنابعها وثرواتها، فكل هذه مؤهلات موجودة لتفجير الجزائر من الداخل، وهي تمثل تمزقات داخلية، لكنها لا تظهر رغم وجودها بقوة، وبشرارة نار صغيرة سيفصل الجزء الأهم في الجزائر عنها.

يؤكد هنا أن أمريكا تعيش من خيرات العرب المسلوبة ولولاها لما بقي لأمریکا وحلفاؤها باقية على وجه الأرض، وعلى الرغم من هذا الشلال المتدفق عليها والذي يطر عليها ذهبا، بفضل المتواطئين معها على استغلال خيرات العرب إلا أن أطماعها كانت أكثر من ذلك بكثير يقول: «..الورود التي غرست فيها تغطي تربتها الرملية، وتتسلق الحيطان»؛ "الرواية، ص: 51". فأني ورود تغرس في الصحراء التي اعتادت تربتها على النخيل والصفصاف وكل النباتات المقاومة للجفاف، التي ألقت التربة وألفتها التربة، فالورود هنا دلالة على كل ما هو دخيل ليس بالأصل الذي تم غرسه على أرض لم تألفه ولم يألفها، ولكنها فرضت نفسها بالقوة، خاصة عندما يقول: "تتسلق الجدران" فهي ميزة يتميز بها اللص المتطفل الغاصب، الذي أراد أن يفرض نفسه عنوة ويقتحم أماكن ليست ملكه وليس أهلا لها.

إلا أن دخوله إلى الأرض العربية، لم يحدث إلا بعد أن أبادوا العرب الثائرين وسحقوا أغلبهم، لكي يفسح لهم المجال، وإلا فلا مكان لأزهار هشة، اعتادت على رغد العيش بين نخيل وصفصاف صامد يقول:

«...ليذكره بأن آخر السلالات وأصلها ما يزال هنا....»؛ "ص:54" فهذا يشير الكاتب إلى ختام محزن للعرب وزوالهم وسيرهم نحو الانقراض حال الحيوانات المنقرضة، لكي يفسح المجال للغربي وتفتح أبواب الدول العربية للدخيل الغاصب على مصرعيها يقول: «..السد مسألة ضرورية، هو مفيد ولاشك، منح فرصة الماء لقبائل كثيرة جاءت لتنتشر حوله وفي امتداداته، لكن هل ماؤه نقي..»؛ "ص:174".

فهي إحالة إلى أزمة عربية من نوع آخر، هي أزمة الماء التي سعى لتسليط الضوء عليها، لأنها في دائرة الخطر، وإن لم تحل المشكلة ستتضرر الطاقة المائية، فهذا لو ربطنا هذه الأزمة المائية التي سلط الكاتب الضوء عليها، بالأوضاع الراهنة سنتوقف عند "سد النهضة الإثيوبي" الذي يعد من أهم المنجزات الإسرائيلية الذي سيؤثر على مياه النيل، والذي سعت مصر لإفشاله مرارا ولكنها لم تفلح في ذلك، لأنها ترى أن مصر هبة النيل، وأن إثيوبيا المدعومة من قبل إسرائيل خطفت الهبة منها، لأن هذا السد يمس أمن مصر المائي، والذي وضع المصريين في دائرة القلق والخوف من المآل، لتقابلها طمأنينة الأطراف الحاكمة التي سلمت هذه الهبة المصرية وبأريحية تامة، والسماح بإنشاء هذا

السد الإثيوبي الذي تموله الصين بصورة معلنة، ولكن ما خفي كان أعظم....¹، فحال مصر هنا من حال العرب أجمع، ومن جهة أخرى فهذه العبارة تعيدنا إلى عصور غابرة أيام التاتار، حين تم القضاء على كل المؤلفات العلمية العربية التي يشهد لها التاريخ، وإلقائها في نهر دجلة ببغداد وبكل أريحية، لأنهم مازالوا في مرحلة الطفولة من هذا العلم النفيس، لأن التاتار كانوا شعبا همجيا، جاءوا لهذه الدنيا من أجل تخريبها لا غير، والذي تحول ماءه من كثرة الحبر الذي سال فيه وتماهى مع بياض الماء فتحول إلى سواد، ليكرر هذه الجريمة الشنعاء في حق الإنسانية جمعاء وليس المسلمون فقط، الصليبيين عند سقوط الأندلس مع مكتبة غرناطة، وفعلوها أيضا مرات عدة مع مكتبات؛ طليطة، أشبيلية، وسرقسطة، وطرابلس اللبنانية، وغزة والقدس وغيرها، ثم فعلها الأوروبيون الجدد الذين نزلوا إلى العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، ولكنهم كانوا أكثر ذكاء لأنهم لم يحرقوها ولم يغرقوها في الأنهار وإنما سرقوها، لطمس معالم العلم عند العرب والاستحواذ عليه²، وسحب إثيوبيا لماء النيل لا يتوقف على الماء والحياة فقط، بل هي إشارة إلى ذلك الكم من العلوم والمعارف العربية التي أغرقت أبديت، وتم إلقاؤها في الأنهار وإغراقها مثلما أغرقوا العقول العربية في وحل العدمية، وسحب مياه النيل ما هو إلا إشارة لتلك العلوم التي فرت هاربة نحو الغرب بفعل فاعل يقول:

¹– <https://ar.wikipedia.org>

²– <https://islamstory.com>

«..في منطقة لا توجد بها حياة إلا القلعة والسد، والوادي الذي يستقبل فائض السد من المياه الجوفية..». "الرواية، ص:175". فكل ما وضع الغرب عليه يده لم تبقى له باقية، ماء وأنهار وثروات...

يقول: «...رأى يوم الجمعة ينزل بنعومة، و يحل محله بشكل نصفى غير مكتمل يوم السبت..». "الرواية، ص:56"، فالجمعة هي اليوم الذي خلق فيه سيدنا "آدم سيد البشرية عليه السلام" إضافة إلى أنه يمثل عيد المسلمين، فهو دلالة على زوال العربي وكل ما يمت له بصلة، على يد الغربي الذي رمز له بيوم السبت، فهو يوم عيده واحتفالاته، والذي يحل محل يوم الجمعة أي محل العرب والمسلمين، لكن عندما نتأمل عبارة (بشكل نصفى وغير مكتمل) فهي تحيلنا إلى أن الأوضاع سائرة نحو الزوال ولكنها مازالت في بداياتها، وليس بالأمر الصعب ولا المستحيل، وبالإمكان تغيير مجراها وجعل كيدهم في نحورهم وإبطال شرورهم ومساعدتهم.

يقول: «..آدم اختزلت كل شيء في اسمي ومساري..». "الرواية، ص:57". وكما تروي القصص القرآنية أن آدم هو أبو البشرية، والذي بخلقه فزعت منه الملائكة وفزع منه إبليس نفسه، وكان بفضل ربه أكثر علما وفهما، ولكن بسبب إغواء إبليس له أخرجه وذريته من الجنة إلى الأرض، إلا أن الكاتب جعل هنا بطل روايته يحمل اسم أبو البشرية "آدم" وهو عالم عربي متخصص في النووي، وواضع اختراعه في يد الغرب، فالصفة التي يشترك فيها أبو البشرية، وآدم غريب العربي واختراعه للنووي الذي وضعه في يد من

سيبيد به أمته ووطنه، هي الخطيئة التي أخرجت البشر من الجنة إلى الأرض، إلى الخطيئة التي ستبيدهم وتعيدهم إلى أصلهم الأول قبل خلق الله لهم وهي التراب "الرماد".

مرورا إلى قوله: «..سنفتح بعض أبواب القلعة لمشردي آرابيا ...». "الرواية، ص:60"، فأرابيا هنا هي دلالة وإشارة إلى ما تبقى من الشعوب العربية التي تهالكت ولم يبقَ منها إلا القليل، حيث يصفهم بأبشع الصفات، والذي لا نجده في موضع واحد من الرواية بل متناثرا وبكثرة في ثناياها يقول:

«..آرابيا التي لم تعد موجودة إلا كتيه رملي..» "الرواية، ص:23".

«..المحظوظون يأكلون اليوم أوراق الأشجار وجذور النباتات والحشائش إذا وجدوها،

وكل ما تلتقطه عيونهم من زواحف...». "الرواية، ص:53".

«..كانوا سذجا حتى العظم..»؛ "الرواية، ص:61".

«عند البوابة العسكرية للقلعة تبدوا الوجوه من بعيد محروقة ومقشرة ومنهكة، وقامات

الناس منحنية إلى الأمام من شدة التعب، بقايا الألبسة تحولت إلى خرق بالية، تكشف

جزءا كبيرا من أجسادهم التي تحولت بدورها إلى ضلال وهياكل عظمية...»؛ "ص: 63".

«...كأن دورتها الطبيعية انتهت أوهي في طريقها إلى ذلك ...»؛ "الرواية، ص:93".

والأسوأ منها»..رابطة الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة إلى الزوال»؛ "الرواية، ص:52".

فهذه كلها أمثلة عن الصور التي صورها الكاتب للأربيين العرب، والمتبقين من العرب الزائلين، الذين سحقوا ولم يبقَ منهم إلا فئة تحمل كل صفات التشرد والضياع واللامأوى، لدرجة أنهم أصبحوا يتقاتلون على أوراق النخيل والحشرات والزواحف وجذور الأشجار، فأى حال هذه وأي مآل هذا؟

فالكاتب هنا اختار ما تبقى من العرب وسماهم "بالأربيين"، وتعمق في وصفهم بأنهم محجوزين في مساحات محددة، ترعاهم جمعية للشعوب الآيلة للزوال الغربية، مثل جمعيات الحيوانات المنقرضة، يتقاتلون على ما تلقيه عليهم قلعة أميروبا الغربية من فتات فيترافسون عليه ويتتأخرون...، وكأنه يريد أن يقول بأن هناك زمن آت على العرب لا محالة تقلب فيه الموازين ويصبح فيه السيد والمالك مثل الحيوان الجائع الذي ينتظر الرحمة من ناهبه وسالب خيراته. إذ أصبحوا عرضة للسخرية والاستهزاء يقول:

« سكان آرابيا أصبحوا داخل تيه شديد القسوة، خسروا كل شيء، حتى النظام الأدنى الذي كونه على مدى قرون.

-ينقرضون بهدوء وسكينة، لم يعودوا سادة مصائرهم»؛ "الرواية، ص:232".

«...تقاتلوا حتى أبادوا أنفسهم...»؛ "الرواية، ص:250".

«..آرابيا أصبحت اليوم خرابا...»؛ "الرواية، ص:327".

«...كل بلدان آرابيا التي كانت قائمة اندثرت نهائيا، حتى بعضها الذي كانت له قيمة

بنفطه، وماله وتربته لم يعد موجودا...»؛ "الرواية، ص:343".

«...تحولوا إلى هياكل عظمية...حتى النساء.. لم يعدن مغريات..»؛ "الرواية،

ص:329". فكل هذه الصور المزرية والبائسة تحيل إلى الفقر والخراب والدمار

الذي ينتبأ الكاتب بأنه سيحل بالعرب، والذي يرد وصفه على لسان مسؤول قلعة أميروبا

وهو ساخرا ومنتشيا، باعتبارهم تمكنوا من تحقيق ما كانوا يسعون وراءه. فكيف أن يؤول

العربي إلى هذه الأوضاع التي يقشعر لها البدن وتعصف بالقلب والروح؟

فهذه الرواية تعد صرخة روائي في وجه العرب عموما والحكام خصوصا، لإيقاظ

النشيج الداخلي قبل فوات الأوان، لأن الأوضاع لو بقيت على هذه الحال فالعرب آيلون

للزوال لا محالة، إلا إذا سمع للنشيج الداخلي ولبؤا النداء ونفضوا الغبار على أنفسهم فلا

أقدار ثابتة. كيف لا ونحن نملك عقولا لا يمكن أن يستهان بها يقول:

«خبير وبروفيسور اشتغل مع كبار الشخصيات على الرغم من اختلافهم معها، في

العراق، وسوريا، وإيران، وليبيا، والجزائر، لأنه كان يؤمن أن امتلاك النووي كليا يحتاج

إلى خبرة..»؛ "الرواية، ص:96".

يؤكد الكاتب هنا على أن الدول العربية السائرة نحو الانقراض، لها القدرة على صنع مجدها وخلدها ورفع رايته عاليا، مادامت تبنت فكرة النووي يوما وإن أجهض ولم يكتمل، وأنها تملك عقولا مفكرة بإمكانهم أن يصلوا بها إلى قمة التكنولوجيا، التي تنبأها الغرب أو أجهضها، فيكفيها شرفا أنها أم العقول الفعالة، فما عليها إلا أن تجمع شمل علمائها ونجبائها مهما كلفها الثمن، وأن تضع نجباءها وعلمائها بين أحضانها لأنها أولى بهم من الغريب، وأن لا تسمح باغتيالهم، وليد الغدر أن تطأهم يقول:

«...من ليس معنا فهو ليس ضدنا فقط، لكنه عدو تجب محاربته». "الرواية، ص: 99".

نلمح في هذا الكلام تهديد صريح، بأن الذي لا يقف مع الغرب في خدمة مصالحهم وتحقيق أطماعهم، حتى وإن كان وقوفه معها يهدد أمن وطنه، فهو عدو وتجب محاربته. وكأن هذا التهديد موجه للعرب وقادتها وعلماءها، لهذا نجدها تسعى جاهدة للحفاظ على العلماء العرب، الذين تكونوا عندها وتبنتهم مع اختراعاتهم ومنجزاتهم الفذة، أمثال "آدم وسميث..." والذين أحاطتهم بالحماية، وعزلتهم عن كل يد شر يمكن أن تطأهم، أما المنجزات الأخرى التي تهدد أمنها فهي سعت جاهدة للفتك بها وتدميرها وإجهاضها قبل أن تكتمل وتخرج إلى النور. بعد أن عجزت في المساومة عليها؛ وذلك بإنشاء فرق متخصصة في اغتيال العلماء العرب، وأمثلة ذلك كثيرة أي لا تعد ولا تحصى ونذكر منهم: ساري رضوان رضا دكتور في الفيزياء النووية كان يشتغل في مشروع سري في بلده اغتيل في الجزائر العاصمة، وتدمير عدد كبير من الملفات والبرامج العلمية والمواد

الأولية والمعدات الصناعية المخبرية في العراق، باعتبارهم يشكلون خطرا على السلام، وبدخولهم إلى العراق تم تحطيم محاولات ما يقارب 3500 عالم نووي عراقي، وكذا بغداد سرقت معداتها النووية وتم إخراجها إلى الخارج لاستغلالها، وتدريب فرقة "شادو" الخاصة بتصفية علماء العرب "ينظر: ص:346".

فلما كل هذه المجازر؟ وهذا الخوف؟ وهذا الاغتيال؟ لو لم تكن خائفة من العرب لما فعلت كل هذا، فلو وقف العرب كلهم يدا واحدة وقلبا واحدا، لما وجدت أمريكا طريقا إلى ممتلكاتهم وأوطانهم، ولما أجهضت أبحاثهم ولما بقوا تحت رحمتها، وهي ساعية بهم نحو الزوال والدمار، فمن أين كل هذه القوة وهذه السيطرة على العالم، وهي قائمة على التعددية يقول: «..هذه التعددية هي التي تصنع أمريكا اليوم...»؛ "الرواية، ص:147".

فأمريكا لم تصل إلى ما وصلت إليه اليوم بنجائها، لولا تبنيها لكل من ترى فيه الخير لها ولأرضها، ولولا هذه التعددية، وسحبها واستحواذها وإغرائها لكل من ترى فيه خيرا ترغب فيه، لما أصبحت بهذه القوة التي نهبتها من نجباء غيرها الذين كثيرا ما تصفهم بالتخلف والإرهاب.

مرورا بنا نحو مثال آخر من الحكام يستحق أن يقتدى به، والذي يتمثل في "شارل دوفوكو رجل البرنس" الذي جاء إلى أرض عطشى من كل شيء، حتى من الحب ولكنه سعى لفهمها ودافع عنها باستماتة، ودفع روحه ثمنها لها رغم أنه لم يجن منها إلا الهلاك الذي لحق به؛ "ينظر، الرواية، ص:170". وكأنه يريد أن يقول أن العرب والعرش العربي

يفتقد إلى مثل هذا الرجل العظيم، الذي وضع مصلحة البلاد قبل كل شيء، والذي جاء إلى أرض عطشى من كل شيء، ولكنه لم يتخلَّ عنها، و لم يزد عطشها عطشا على عطش، بل سعى إلى فهمها والسعي الدعوب من أجلها، وسقاها بالخير والعطاء الذي كانت بحاجة إليه، إلى أن سقط في سبيلها ورفض الفرار وترك البلاد أو تسليمها للأوغاد، ودفع روحه ثمنا لها.

فهو هنا جعلنا نحس بالخزي والعار من رؤسائنا وحكامنا، الذين يرأسون بلدان تنعم بالخير والاستقرار فعوض المحافظة عليها وتنمية خيراتها، يجعلون الأوضاع تتأزم وينزلون بها في الحضيض عوض الصعود بها إلى الأعالي القمم، ثم يفرون هاربين نحو بلدان يفترض أنها عدوة لهم ولأوطانهم، ليحتموا بها وكأنهم يطلبون منها رد الجميل؟ أو يتشبثون بالحكم على حساب تدميرها وتدمير الأبرياء. وكل قلب وضمير حي يسعى لبناء بلده تكتم أنفاسه والفاعل دائما مجهول، ومثال ذلك: رئيس آرابيا الذي كان يشجع الطلبة الناجحين الفائزين على المنحة في الخارج أن يتعلموا ولكن عليهم أن يعودوا لبناء وطنهم وأن لا يبنُ بلاد غيرهم. والذي وجدوه مسموما في غرفة مكتبه يقول:

«..ستستفيد من منحة دراسية علمية، اجتهد وعد لبناء شيء في وطنك ولا تفعل مثالا للآخرين..». "الرواية، ص:223"، فالمشكلة أن كل من كان ساعيا من أجل البلاد يكون عمره قصير، ويختاره الموت دون غيره، وفي المقابل هناك من يجب تقاعده ولكنه ينتشبت بالمنصب يقول:

«..اقتراح عليه التقاعد بسبب وضعه الصحي، لكنه رفض بحجة عدم وجود بديل بخبرته...»؛ "الرواية، ص:241". فلو تأملنا جيدا لوجدنا مثل هذه الحالات كثيرة عند العرب، إذ نجد عندنا من لا يسلم الحكم حتى وهو عاجز بل وغزا الشلل جسده واستوطن فيه، إلا بعد أن يقضي الله أمره، وهناك من يتربع على العرش عنوة ولا يكتفٍ بعهدة بل بعهدة... بعهدة...

فالقلب مليء والآلام كثيرة والأزمات مقبلة تدق على الأبواب، والأخطاء متناثرة هنا وهناك بدءا من الكبير وصولا إلى الصغير يقول:

«...فصرخ بأعلى ما أوتي من قوة، كلكم كذابون يا أبناء القحبات، لا تحترمون ما يقدم لكم من فرص الترقية والخير..»؛ "الرواية، ص:259". ففي هذا الكلام الموجه من الحاكم إلى مستشاره، نخلص إلى أن الكلام البذيء لم يكن تصرف المتشردين والسوقيين فقط، بل تربع أيضا على كراسي العرش والسلطة، فهل البذاءة هي التي وصلت إلى الفئة المثقفة وتخللت حواراتهم؟ أم المشردين والجهلة هم الذين وصلوا إلى السلطة وجلسوا على كراسي العرش؟ أم المثقفون اقتدوا بالجهلة والمشردين؟ ولكن تبقى الأزمة واحدة وكبيرة والخزي أكبر منها.

إذ نجد في آرابيا الغربية "جنرالات" أصبحوا بعدد الجرذان لا يتحركون إلا بصعوبة، أو على متن عربات خاصة لتفادي الإنهاك، حتى في المناورات العسكرية التي يحضرونها، يقومون بتحية الجيش والعلم الوطني وهم داخل عرباتهم، لا عمل لهم إلا الأكل والمحافظة

على السمنة، يتميزون بصدر خشن مثقل بميداليات الانتصارات حتى انحنت منها ظهرهم، لا ندري من أين حصل عليها في بلاد لم تخض أي حرب منذ أكثر من نصف قرن. "ينظر الرواية، ص:315"،

إنها لسخرية كبيرة من حال الحكام "الجنرالات" المسيرين للبلاد والمسؤولين على أمنها واستقرارها ومن مظاهرم التي تصرخ بالعجز والتي تحيل للحكم العاجز. فعوض أن يمثلوا بلدانهم بأجساد قوية ومظاهر لائقة مشرفة، مثلوها أسوء تمثيل بجسد عاجز تغزوه العاهات والسمنة والبدانة المفرطة، تحمله عربات متحركة، والغريب من ذلك العدد الكبير من المدياليات التي أثقلت صدورهم وزادتهم ثقلا على ثقل! رغم أن الوطن لم يخض في الحروب منذ أكثر من نصف قرن، إلا تلك الحروب التي خاض فيها مع تلك الفئة القليلة الثائرة على الوضع والناقدة لهم، أو مع الإرهاب الذي نشأ في جو من الفوضى واللامبالاة واللاعقاب، أو من تلك العمليات القائمة على تصفية الحسابات التي جعلتهم يدعون الحروب والبطولات، وبها أعطوا فرصة للغريب أن يربط التنظيم والإرهاب بالعرب والمسلمين، ورمي عباءة الدم والإجرام عليهم، وتوجيه أصبع الاتهام نحوهم يقول:

«...لا أدري من أين خرج الكوربو؟ كل ظالم مصيره الموت الحقيقي، أصبح التنظيم معروفا بتوقيعاته، على أجساد الضحايا، بوضع علامة صليب على صدر المقتول، والكتابة تحتها تنظيم، وآية قرآنية....»؛ "الرواية، ص:163".

«...كل التحالفات الدولية متهما إياها برغبتها المحمومة لإجهاض مشروع الدولة الإسلامية الحقيقية التي يدافع عنها التنظيم....»؛ "الرواية، ص: 266".

«...هاهو كبيركم الذي علمكم السحر"فرانكي دوفوكو"، الذي يحب المجتمع فأعطيناه ما احتاجه من نار،"ألفونسو جيروم" الذي لم يجد مكانا ينشر فيه مسيحيته إلا هذه الصحراء الطاهرة، فكفيناه بما استحق، وميمون الذي باع نفسه للشيطان، طهرنا خيانتة بالنار، هذه إجابة عن التجارب النووية التي تهيئونها لقتلنا وقتل الإسلام، لن نهزمكم إنما الله من سيركم برهانه، التوقيع. الكوربو. التنظيم. ليس بعيدا عنها ثلاث جثث أخرى، قتيلا لم يمر على قتلها أكثر من ثلاث ساعات...بالقرب منهما امرأة مخزوقة بسيخ ثقيل، دخل من فرجها وخرج من حنجرتها، كتبوا على صدرها المنزوع الثديين وبطنها المفتوح الذي نزع رحمه.

-هذه قحبتكم، الجاسوسة الباحثة في الطبيعة سوزان كليبر، نعيدها إليكم كاملة غير منقوصة إلا من ثدييها لكي لا ترضع لقيطا يأتي هنا ليعبث فسادا في الأرض، ورحمها لكي لا يحمل بخنزير يدخل البلاد وكأنها زريبة، ولا تلد مرة أخرى قاتلا جديدا نالت جزاءها الذي استحقته ..»؛ "الرواية، ص: 351".

فكل هذه الفقرات تحمل معنى واحد مفاده أن التنظيم خرج من رحم الإسلام، وأن كل هذه التصرفات البشعة والمشينة التي تخلصوا من الإنسانية تم ربطها بالإسلام والمسلمين، على الرغم من أن الإسلام لم يشجع الجهاد إلا لسببين؛ الأول للدفاع عن الدولة وحمايتها،

والثاني لردع العدوان عنها. أما القتل العشوائي لناس أبرياء هو أمر مخالف لكل الشرائع السماوية والإنسانية، فالقتل حرام مهما ارتدى القاتل عباءة دينية أو طائفية أو وطنية، ولا تحرير الأوطان يحل قتل الأبرياء مصداقاً لقوله تعالى في محكم تنزيله: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا..} "المائدة: 31".

فهي سورة صريحة تؤكد بطلان ما نسب للإسلام. ولكن عندما نعمن النظر وندقق مع هذه العبارات السابقة المقتبسة من الرواية نجد كلمة "صليب" الواردة في عبارة "علامة صليب على صدر المقتول" فهي تجعلنا نقف متسائلين ما الذي ربط علامة الصليب التي هي علامة لليهود، بالإسلام والدين الإسلامي. فيا ترى هل الغرب تتكرر بعباءة الإسلام والمسلمين؟ أم المسلمين تلامذة للغرب في الإجرام؟ إلا أننا نجد في النص ما يضع بين أيدينا خيوطاً للوقوف على الحقيقة حتى ولو كانت نسبية يقول:

«..فرقة شادوا المكلفة بقتل العلماء العرب»؛ "الرواية، ص: 144".

«الكوريو آلة خطيرة قادرة على الفتك بكل شيء بحسب ما تحكيه الصحافة

«؛"الرواية، ص: 163".

«..الكوريو أصبح قوة خطيرة ..»؛ "الرواية، ص: 269".

فعندما نربط بين فرقة شادو الغربية المحترفة والمتخصصة في قتل العلماء العرب،

وأجهاض كل منجز نووي عربي، وقتل خيرة أبناء العرب ندرك جيداً أن الغرب لهم خبرة

كبيرة وقدرة أكبر على الإجرام والاعتقال يشهدها التاريخ برمته، ومن هنا نربط احترافية الإرهاب باحترافية الغرب في الإجرام وقتل الأبرياء دون ذنب، سنصل مباشرة إلى من خلق الإرهاب، وموله، ودربه، ووجهه لقتل أكبر العلماء، وتحطيم أجمل ما شيده الحضارة الإنسانية، وذلك من منطلق قل لي من المستفيد أقول لك من القاتل والفاعل. فكيف ينسب التنظيم بقوته وفتكه وذكائه للعرب الحاملين المحملين بالجناز والخوف، وكون صفة التخلف والغباء لصيقة بهم مهما أعطوا وبرهنوا؟ فالإرهاب قوة خطيرة لا يمكن أن تكون عربية الأصل، وما هذه إلا حجة للتدخل في أرض العربي، ويكون ذلك كحق مشروع يقول:

«...لا نظلم ولا نرحم، التدخل في أرض العدو حق طبيعي...»؛ "الرواية، ص:332".
فهي هنا تظهر عكس ما تبطنه، فهي ظهرت في صورة العادلة التي لا تظلم ولا تتجاوز حدودها، ولكنها لو تأذت فلا تعرف الرحمة، حملة طيش الإرهاب الذي سهرت على زرعه لكي يسهل لها المهمة في إلصاق التهم بمن ترغب في إبادته، وإدانة الأبرياء كلما رغبت بذلك، لكي تجهز على نفس فريستها تحت لواء الدفاع عن النفس والمصالح والأمن العام.

وقد نجد هناك شخوص عرب "كسيف" الذي لم يحالفه الحظ كثيرا بدءا بالتخصص الذي حرم منه، ومن زوجته التي قتلت في اغتيال أمريكي..، فكان دائما ناقما على الظروف والحظ الذي وقف ضده مرارا، وعلى كل من كان الحظ حليفه كآدم، الذي كانا

دائماً ينظر إليه بعين الحاسد، فكانت هذه الحالة النفسية سبباً في شذوذه وانحرافه، فانظم للتنظيم لينتقم من الحظ ومن كل من حالفهم، فالكاتب هنا يريد أن يمرر رسالة مفادها أن التنظيم والجماعات الإرهابية، ما هي إلا جماعات تعاني من الخواء الروحي والعجز والنقص، وكونهم حبيسي عقدهم النفسية الناتجة عن عدم القدرة في البناء، فوظفوا تلك القدرات في الهدم والتخريب والوقوف أمام النجاح وأهله، فهو إرهاب فكري أكثر منه بشري.

وعليه لا يمكننا الجزم والنفي أن العرب لم تكن لهم جماعات متطرفة وشاذة منحازة نحو الإجرام، ولكن ما يمكن قوله أن التنظيم أنواع بعضه يحارب وبالإمكان تضيق الخناق عليه وشل حركته لأنه في الأول والأخير ما هو إلا عبارة عن جملة من الشواذ، وبعضه تصعب محاربته لأنه لا يملك القوة فقط، ولكنه يملك سلطان الإبادة من جهة، وحامل للواء مكافحة الإرهاب في العالم من جهة أخرى، والدليل على ذلك وبطلان نسبة التنظيم العالمي للإسلام، كون قلعة أميروبا هي التي توفر الظل للتنظيم وذلك من خلال المتاجرة بالأعضاء يقول:

«..هو أن أعضاء هؤلاء البؤساء تباع وتشتري عند بوابة القلعة، وهناك مافيا من رحل آرابيا تعيش على هذا..»؛ "الرواية، ص: 365". فهنا تظهر العلاقة وطيدة بين التنظيم وقلعة أميروبا من خلال المتاجرة بأعضاء العرب البائسين، والصفقات المشبوهة التي تدر عليها مالا غزيراً، فضمن لها ثراءها وحافظ عليه، ولكن أمريكا دائماً نجدها تتنادي وتصرح

في خطاباتها داعية للسلم والسلام ومحاربة الإرهاب، رابطة إياه بالعرب والإسلام والمسلمين وما هي إلا ذرائع لتوجيه سلاحها نحو العرب للذهاب بهم نحو فنائهم، فهم خلقوا التنظيم وكونوه وحملوا المسؤولية لأوطان بريئة، وذلك من خلال إيمانهم بفكرة البادئ أظلم والعمل بها والتستر تحت لوائها، على الرغم من أن البداية منهم والإبادة منهم.

فلو كان في هذا الصراع مصداقية وكانت المواجهة جلية، لما حدث كل هذا الغدر والتلاعب والطعن في الظهر واللجوء إلى أقذر الطرق يقول:

«...أجمل ما يفضح أكذوبة القوة والعنصرية، هي الرياضة..»؛ "الرواية، ص.156". فهو يرمي من خلال قوله أن هذه القوة الغربية ما هي إلا قناع يخفي وراءه جبن كبير وضعف شديد، كما أنه يؤكد على الغدر وعدم القدرة على المواجهة واللجوء إلى طعنات الظهر، فلو كان الأمر مثل الرياضة التي تقوم على المواجهة، بكل صفاء لما انهزم العرب ولكن القذارة هي التي تسود للأسف تحت شعار البقاء للأقوى وأي أقوى...

وعلى الرغم من تنديداتهم بالسلام والأمن والحماية للبشرية إلا أننا نجد الحماية تقتصر عليهم والإبادة موجهة نحو العرب أجمع يقول:

«...إيفا وتعني لي الكثير، وهي مواطنة أوروبية ولها حق الحماية، ابنتي يونا مواطنة أمريكية يابانية، لها حق الحماية أيضا». "الرواية، ص:442"، فهذه العبارة تؤكد بأن لا

قيمة ولا حماية لإنسان لا ينحدر من أصل غربي أو أمريكي تحديداً، فمن بين الشعوب التي هي بحاجة ماسة للمساعدة ولید العون، إلا أن المساعدة اقتصرت على شخوص انحدرت من أصل أمريكي أو غربي، أما البقية فتركزت لتهوي في الهاوية وإلى الجحيم وما ذنبهم إلا لأنهم عرب وليسوا أمريكيان.

وبعد كل القذارة الغربية، والسعي الأمريكي إلى سيطرته لكي يسود وبعد كل الخداع والحيل، بدءا بالسيطرة على العلماء وجعلهم كرهينة عندها، وفرضها عليهم حصارا وجعل حريتهم مقابل إنجاز المشروع وشحنهم ضد التنظيم؛ الذي ألّبت عباءته للعرب الأبرياء الذين شوهتهم بدنائتها، وعندما حصلت على القنبلة النووية، التي ادعت وراء الحصول عليها السلام والسلم للعالم بأكمله، لم تجد لتجريبه مكانا إلا صحراء آرابيا كحقل للتجريب، يقول: «..أردت فقط أن أخبركم أنه سيتم، بالاتفاق مع الفريق العلمي، تحديد اليوم والوقت الصفر لتجريبه...في صحراء آرابيا، وأعطيناها اسم العقرب الأسود»؛"الرواية، ص:314".

فأمريكا لم تجد مكانا للتجريب إلا الأراضي العربية، لكي تفرغ فيها سموم الإنجاز والتجريب، وكأن الأراضي العربية ليست من الكرة الأرضية، أو ليست أرض للبشر، وأن شعوبها ورم يجب استئصاله.

يقول: «...في البداية سمع نداءات رماد.كانت قريبة. تغيرت نبراتها كثيرا وأصبحت غير صافية، كمن بلع دخانا كثيفا أو كمم فمه بعنف، رماد عندما يكون عواؤه مخنوقا، فهو إما مريض أو محاصر، أو يريد أن يغيب ويهرب بعيدا عن عالم لم يعد أليفا معه»؛

"الرواية، ص:318". كيف لرماد سيد السلالة أن يكون مرتاحا وهو الذي يتشمم الخطر ويحس به عن بعد، والوطن الذي نما فيه نسله وتكاثر، ستسحب من بين أيديهم وهم متخاذلين يغزوا البرود قلوبهم، وكأنهم ما كانوا من نسله وما حملوا اسمه يوما، وما كان لرحيله إلا لأن الطائرات الحربية بأرضه حلت وأصبحت تملأ المكان ودخانها يتصاعد إلى العنان، والموازين قلبت وأصبح الرمادي يعكر صفو ونقاء السماء، وأن معالم الهداية طمست منها، وختامها أنها أصبحت أرض للتجريب، لتعود إلى ما قبل العصور الوسطى، متحسرا على نسله الذي منح الخير للبشرية أصبح غير مرغوب فيه وكل الأيادي تدفع به نحو الانقراض يقول:

«أحيانا لا أصدق ما أرى وما أسمع وما أقرأه أيضا، كيف يمكن لشعوب منحة البشرية العلم والخير والسعادة، أن تتحول إلى كائنات غير مرغوب فيها؟ شعوب على حافة الانقراض...»؛ "الرواية، ص:361". لكن دائما نلمح بصيص من الأمل حتى وإن كان ضئيلا، مفاده أن الكارثة قريبة على الأبواب ولكنها لم تحدث بعد، ولا أقدار ثابتة ولا شيء مستحيل، وأن تستيقظ من سباتك متأخرا خير من أن لا تستيقظ أبدا.

وبعد كل هذه الصراعات والأزمات التي عاشها العربي، وبيد أمريكية أوروبية وكل ما تعرض له من سلب ونهب وغدر وخيانة وبطش، من عدو خفي أو مرئي أبادهم وأفناهم ولم يترك منهم إلا مسكينا ضائعا مشردا، وحلول أمريكا وحلفائها سيدة على أرضهم مستحوذة على خيراتهم. وبتأميمها الجيد للخيرات والمنابع والثروات أحست أن تواجدنا هنا

ليس بالضرورة، فعزمت على شد الرحال وإخلاء القلعة لغايتين؛ الأولى لعدم الحاجة لبقائها هنا بعد التأميم الجيد للمكان بأحدث التكنولوجيات التي تراقب وتقص في الوقت نفسه عندما تحس بالخطر، والثاني أن تجعل من القلعة التي كانت كورم في رحم العرب، قبرا لكل من تبقى منهم بحجة أن التنظيم ساومهم على إخلاء القلعة، ولكن الحقيقة أنه جاء هنا بسمومه التي تخلص منها على الأراضي العربية، ثم رحل تاركا وراءه كل من رأى أنه انتهى دوره، وأنه ليس بحاجة إليه ولن يكون إلا عالة على عاتقه يقول: «..توغل عميقا في أجنحة أحد بيوت المقيمين، وجد جثثا مكدسة فوق بعضها البعض وروائحها قوية، كأنها قتلت بغازات سامة لأن أفواهها كانت مفتوحة وأيديها يابسة على حلوقها..». "الرواية، ص:444". فهي صورة تنعدم فيها الرحمة وتتجرد من الإنسانية، ويطغى عليها الشر بكل صفاته، إذ ترى أمريكا من خلال تصرفها هذا أن حياة الغير تنتهي مع انتهاء خدماتهم لها، فهي لا تحافظ إلا على من حياته خادمة لمصالحها يقول: «..العربي الجيد في النهاية هو العربي الميت. بدا له ذلك مرتسما في مدخل القلعة. دارت المروحية ربع دورة، سأل الموظف مرة أخرى قائد الطائرة:

كل شيء في مرمي سيدي، اضغط هز القائد رأسه للمرة الأخيرة بالإيجاب، لم يسمع الانفجار ولكنه رأى نارا حارقة صعدت من عمق الساحة فتطايرت الحجارة والأجساد، بالمئات عاليا في حالة تمزق قصوى..». "الرواية، ص:460"

فالكاتب بدأ روايته وختمها بمقولة سبق وأن تطرقنا إليها "العربي الجيد في النهاية هو العربي الميت." فهي عبارة أهانت العربي كثيرا وحقرته، فهل هذا التحقير لأنه استسلم لها؟ وأقر بقوتها التي سلبتها منه وسلحت بها ضعفها ووهنها وهو يدري؟ أم لأنه صنع لها تكنولوجيا بها سحقته؟ ومزقت النجمة الخماسية التي كانت فوق سمائه ترفرف عاليا؟

يقول على لسان البطل الغارق في دمه الذي يمثل آخر العرب: «.. لم ير شيئا سوى بعض سماء قريبة كان الأطفال يرمونها بالحجارة لكسر زجاجها الشديد البياض، الذي أصبح فجأة في مرماهم، ظلوا يرمون الحجارة وهو يحاول أن يمنعهم من دون أن يوفق، فجأة مست واحدة السماء الرهيفة فتشقق بعنف تحت دهشة الأطفال كلهم، فركضوا بخوف وتخفوا تحت الأشجار اليتيمة... فطارت القطع الزجاجية، في كل الاتجاهات، حتى أصبحت السماء فجوة سوداء مثل المغارة، تلا ذلك انفجار عنيف... في صحراء الربع الخالي والتلث العامر..». "الرواية، ص: 462، 463".

فهي صورة للعالم العربي الذي كان يتميز بالعلو والرفعة والثراء، وكونه من يطر غيثا ولم يترك على سطحها ظمآن ولا عطشان إلا أن هذه العقول الصغيرة تحيلنا أحيانا للحكماء وتخاذلهم، وللقادة وتقاعسهم، وأحيانا أخرى لعلمائنا الذين جعلوا اختراعاتهم وأرواحهم رهينة بين أيدي العدو الحقيقي المتخفي في جسد الإنسان المسالم، وللشعوب العربية الخاملة التي شبهها بالأطفال المولعين بالقوة والمغامرة والتلاعب بغباء، كلهم كانوا

سببا في تمزيقه قطعا لا يمكن جمعها. إلا أن الكاتب جعل في عيني آدم الغارق في دمه من صنيعة وصنيع بني جلدته بريق أمل رغم كونه ضئيلا يقول:

«..شيء واحد بقي فيه قبل أن يغمض عينيه، نظرته المليئة بالغياب وشعاع الشمس الذي لمع فجأة، فاخترقها مانحا إياها الضوء والنور». "الرواية، ص: 462".

فالكاتب في هذه الرواية التي تعتبر صرخة روائي لما هو قادم، والتي يقر فيها بنهاية العرب الذين اختصرهم في شخصية البطل والعالم النووي الحامل لاسم آدم، الذي يمثل آخر السلالة العربية والعربي الأخير، الذي اخترقت نظرته بصيص ضوء وشعاع شمس، مانحا نظرته الضوء والنور، كأمل في أن تكون هناك صحة للعرب من سباتهم قبل فوات الألوان، واستدراك ما أفسده الدهر وتخالفت عليه الأيدي.

فالكاتب لم ينطلق من العدم والخيال، وإنما انطلق من مادة خام "سوريا، ليبيا، العراق" التي أصبحت أرضا يبابا، معرجا على ما حدث في أرض العرب في الماضي والحاضر، وأن هذا ما هو إلا نتاج محكم منذ سنوات وبأيدي خفية لجعل العرب شخصا مشلولا لا يفكر وليس له طموح، بدءا بالحاكم العربي الذي جعلوه هيكلا فارغا يتم حشوه حسب ما يريد الآخر الذي شل حركته وقوته وتفكيره وجعله خاضعا منقادا، ووضع كل هذه الاضطرابات في نمط رواية استشرافية بوليسية، مشكلة من لوحات جنائزية مأساوية، يحتضنها الحزن الناتج عن الحال والمآل العربي، والتي جاءت كصرخة محملة بالآلام التي عصفت بقلب الكاتب على الحال العربي عموما والجزائري خصوصا، مفادها هل

هذه الخريطة التي كبرنا عليها ستذهب إلى تفكك وتمزق وزوال؟ وإلى طريق نحو العربي الأخير؟

ولم يكتفِ الكاتب بذلك بل عمد إلى أن يحمل صرخته بصدمة مفادها؛ هذه حقيقتكم في أعين الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً وفي عين الدبلوماسيين والسلطة السياسية، التي تهمش العربي وتحقره لدرجة أنها ترى جودته في موته لا في حياته، على الرغم من أن هذا العربي وصل بعقله إلى قمة التكنولوجيا، التي مكنتها من امتلاك أسلحة الدمار الشامل وسيادة العالم. وأنه إذا بقي يسير بهذه الخطى، وبقيت الأوضاع تسير على ما هي عليه فنحن أيلون للزوال لا محالة، إلا إذا سمع النشيج الداخلي فلا أقدار ثابتة.



الفصل الثالث

المسكوت على الدين



كان صراع الإنسان منذ الأزل قائماً على كل ما حيره وعرقل مسيرة حياته، وعلى الرغم من اكتشاف الإنسان لقوانين الطبيعة التي فسرت له الكثير من القوانين والأسرار، إلا أن شعوره بالخوف والاعترا ب والوحدة لا يزال قائماً، وهو ما يعني أن هناك سلطة خفية لا يمكن الوصول إليها، ولا يمكن فهمها ولا التحكم فيها، باعتبارها المسيرة والمتحكمة في كل الحالات والتحويلات، فسعى الإنسان للكشف عما يزال مستوراً لإزالة الإبهام والشكوك حول هذا المجهول الذي يرعبه ويحيره، إلى أن توصل إلى وجود قوى غيبية خارقة متحكمة في زمام الأمور، وهي التي تحركه وما عليه سوى التقرب منها، والتوسل إليها من خلال ممارسته لجملة من الطقوس والقربان، لكي يقي شرها وينال خيرها.

وهذا سواء كان مرده للإيمان الفطري لدى الإنسان، أو الشعور الغريزي الناتج عن خوفه وفزعته من أشياء لا يفهم كنهها، أو بفكرة ظهور الأديان السماوية التي شرعت الحلال والحرام، وحددت له مفاهيم عدة ارتفعت به من مستوى الخرافات والحياة القبلية إلى مستوى إنساني كريم، حيث يقول: "فردريك أنغلز" في هذا الصدد: بأنه هناك «انعكاس خيالي في رؤوس الناس لتلك القوى الخارجية التي تتحكم في وجودهم اليومي، وهو انعكاس تأخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق أرضية، إذ في بداية التاريخ كانت هذه القوى هي قوى الطبيعة، ثم تحولت بتحول الزمان....»¹. أي أن الإنسان خرج من متاهة الفطرة إلى مرحلة اليقين. وحسب "الدكتور عبد الله دراز الدين" هو: « الاعتقاد

¹ - فردريك أنغلز، أنتي دوهرنغ - ثورة الهداوجين، تر: فؤاد أيوب، ط1، دار دمشق، سوريا، 1965م، ص: 381.

بوجود ذات علوية غيبية لها شعور واختيار، ولها تدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاداً من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد، وبعبارة موجزة هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة...¹». وعموماً يمكن القول إن الدين هو محاولة تصوير ما لا يمكن تصويره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، وهو ما قد يكون حبا لله أو خوفاً منه. وذلك بالاعتماد على تلك المصالح الدنيوية لخدمة المصالح الدينية، ولكن الغريب أن نجد العكس هو السائد في الحياة البشرية، إذ يسعون إلى عكس القاعدة وتوظيف المصالح الدينية في خدمة المصالح الدنيوية، لبلوغ المبتغى والمقاصد النفسية، على الرغم من كون الدين لا يولي اهتماماً لمثل هذه الأمور، إنما يعمل على تصغيرها في أعين الساعين للوصول إلى مراتب دينية عالية، باعتباره شعور تتمازج فيه المشاعر بين الحب والرغبة وبين الرفض والقبول، فهو ببساطة حب لله ورهبة وخوف من جبروته، ورفض لعصيانته وامتنثال لأوامره والانتهاز عن نواهيته وما إلى ذلك من عبادات لا متناهية.

إلا أن المتتبع للعلاقة القائمة بين الدين والإبداع منذ القدم، يطرح عدة إشكاليات قد تتجاوز العديد من القرون خاصة في العالم العربي، حيث يذهب المفكر العربي "محمد عابد الجابري" في القول: أنه «إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة العربية الإسلامية بإحدى منتجاتها، فإنه سيكون علينا أن نقول أنها حضارة فقه ودين»² وأن الدين كان الأكثر

¹ - ياسين بوعلي، الثالث المحرم، ط: 2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1978، ص: 11.

² - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط: 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1988، ص: 96.

دراسة وتحررا على باقي الاختصاصات الأخرى، وأن الأدب والفن وكل ما كان له علاقة بالإبداع، لم يأخذ نصيبا كبيرا من اهتمام العرب بذلك مقارنة بباقي الأمم. ثم بعد ذلك برز على الساحة الأدبية جيل صاعد خطى بأنامل من ذهب أسالت الكثير من الحبر، والتي جعلت الدين والفن وجهان لعملة واحدة، وكان ذلك مع ظهور الرواية التي أثارت العديد من الاستفهامات حول القضايا الاجتماعية والحياتية العديدة التي تم طرحها بجرأة، والتي زحمت بها سواء من ناحية الرسائل المشفرة، القائمة على الاختزال أو التكتيف، أو السخرية من الأوضاع المتردية التي تفشت في منظومة القيم،¹ والتي أصبح فيها الكاتب «إنسانا ملتحما بقضايا الإنسان»². بدءًا بالأوضاع الاجتماعية المزرية، والاهتزازات السياسية التي خيمت على الأجواء من المحيط إلى الخليج، ومناهضة الإيمان الساذج وذلك انطلاقا من تراكمات معرفية وليس من العدم، وقد عرف مؤخرا على الساحة الأدبية وفي كتابة الرواية على الأخص، مهارة بالغة في التلاعب بمفاهيم الدين عن طريق تفسيرها وتأويلها بأشكال تسيء لمكانة الدين، وذلك باقتباس الآيات القرآنية الكريمة وتحويرها والتلاعب في تحويل معناها، واستعمالها في مواضع تخالف المفهوم الذي جاءت به، وهو ما يمكن أن نسميه استباحة للمحرمات وانتهاكا للدين ومساسا بقدسيته، وبمقدسات الدين الإسلامي.

¹ ينظر، جورج لوكاتش، الرواية كملحمة بورجوازية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1979، ص: 14

² عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين-السياسة-الجنس في الرواية المغاربية، ص: 14.

كما عمد واسيني الأعرج إلى استعمال الخطاب الديني كأداة لتغيير منطلقاتهم، وتجديد آلياته من خلال مزاجته مع أنواع عديدة من الخطابات، فنلمس التداخل بين ما هو ديني وإديو- سياسي، والذي يهتم بمعالجة الأفكار الدينية ومدى تماشيها مع الأفكار السياسية المعاصرة لكل زمن، أو بينه وبين السوسيو- ثقافي الذي يهتم أيضا بمعالجة قضايا الدين والثقافة؛ أي ثقافة المجتمع المتغيرة حسب كل وقت، حيث لم يكتف المبدع بهذا فقط بل سعى إلى إحداث زلزلة في عالم اللغة. فإذا كان الحديث عن الأفعال المشينة المتنافية مع الأخلاق كالخيانة الزوجية والزنا هو حديث ممنوع في حد ذاته، فكيف يكون الحال إذا أصبحت العلاقات المشبوهة فعل يمارس بكل أريحية وجرأة، دون أن يعقبه ندم وتأنيب ضمير أو خجل وحياء من هذا التصرف اللاأخلاقي الذي مورس في لحظة ضعف ووسوسة شيطان، لكن يرد وصفها وصفا يرفع من قيمتها إلى مصاف الأفعال العظيمة وكأنها شيء محمود، فنجدده يصفها بأنها لحظة عظمى لا تضاهى ولا تعوض ولا تقدر بثمن، كونها سعادة خارجة عن سيطرة الله، وأن المنتبِع لشرع الله سيحرم منها في دنياه وجنته، وأنها في إطار الشرع والحلال لا وجود لها، يقول: « اتركني أذهب الآن، حررني بنظرة شوق منك لأعود إليك. أريد أن أحمل وجهك فقط وسعادة أني أفرحتك وأنتك أفرحتني. أحملك معي وأنت مرتاح بعد ليلة وصباح، لن نجدهما حتى في الجنة. »¹.

¹ - واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، 2015،

فهو يقر بأن هذه الليلة العبثية من أجمل ما يكون ولن تتكرر حتى في الجنة، التي تعد ذلك المكان العظيم الذي أعده الله لعباده الصالحين بعد الموت والبعث والحساب مكافأة لهم، والتي تمثل دار النعيم التي لا يشوبها نقص، ولا يعكر صفوها كدر، ولا يمكن أن يتصور العقل هذا النعيم، فالغريب هنا أن يقارن الكاتب بين الجنة والعهر، وكون الجنة عاجزة عن توفير هذه اللذة الناتجة عن علاقات محرمة، وتأكيده وجزمه أنه لن يكون في الجنة شيء أجمل من هذه الليلة العبثية، ومن المفروض أن المؤمن بالله حقيقة سيجد أن الله أكد بأنه في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت، كجزاء له على صبره وإخلاصه وطاعته، ولكن بما يرضي الله.

كما أنه جعل الصلاة التي تمثل رسالة حب وتقرب من المولى وطلب المزيد من الثواب، بمثابة الرياضة الخالية من أي رابط ديني وعقائدي إذ نجده يقول:

«...ألم أقل لا تشغل بالك يا آدم؟ وضعك سيتغير قريباً. لا توجد أي مؤامرة ضدك أنت المولع بنظرية المؤامرات. المسألة أبسط من ذلك كله. فقط ليضل جسمك رشيقاً، ينحني ويقوم باستمرار، وكأنه يؤدي صلواته في كل وقت...»؛ «الرواية، ص: 94».

إن الصلاة هي الصلة التي تربط بين العبد وربّه، وفيها يكون العبد متصلاً بكل جوارحه، لأن الله سبحانه وتعالى عظم شأن الصلاة ورفع ذكرها وأعلى مكانتها، باعتبارها أعظم أركان الإسلام وأول ما يسأل عليه العبد يوم القيامة، وهي الفارق بين العبد المسلم والكافر لأنها من أحب الأعمال إلى الله، وكونها سبباً لما يحصل في قلب المؤمن من

الاطمئنان والراحة والسعادة، إذ تقوم على أفعال وأقوال مخصوصة، وركيزتها الدعاء باعتباره مخ العبادة. ولكن الكاتب هنا في هذه الفقرة ربطها بالحركات الرياضية الخالية من أي مقصدية في العبادة، والناجمة عن الصعود في سلالمة القلعة مجبرا بغية التنقل فيها، وربطه هنا للحركات الرياضية بالصلاة، ما هو إلا تقليل من قيمتها.

ولو نظرنا لها من زاوية أخرى فهو يحيلنا إلى فئة المصلين المتدافعين نحو الصلاة، ولكن تظل قلوبهم خالية وخاوية من الإيمان أو ما يمت للإيمان بصلة، وكأنها حركات ألفتهم وألفوها رغم خواء قلوبهم من الوازع الديني والأخلاقي، أي أنها مجرد مظاهر خداعة، وقناع خال من المضمون الديني والمحتوى العقائدي.

فالكاتب يحكي الممنوع ويتلذذ به على الرغم من أنه عالم أن حكيه يحمل الكثير من المحذور، إلا أنه عمد إلى التلاعب بمقدسات الدين وانتهاك حرمة، على السنة شخوصها خاصة عندما يقول:

« أينما وليت وجهك فثم وجه آدم صديقك ههههه »؛ "الرواية، ص: 155"،

فهذه العبارة التي تم تحويلها مقتبسة من سورة البقرة حيث يقول الله تعالى: { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }. البقرة، الآية: 114. " أي أن كل الأرض لله، وأينما تولوا وجوهكم في الصلاة بأمره فهناك وجه قبلته التي

رضيها ¹، أي هناك قبلته التي أمرنا بالتوجه إليها، إلا أنه حور الآية القرآنية وذلك بحذف اسم "الجلالة" ليحل محله اسم العالم "آدم غريب"، وبقي المضمون كما هو ونسبت الآية القرآنية لغير الله، رغم أن هذه الصفة والميزة تعبر على عظمة الله وقدرته، التي لا يمكن أن تتسب لأحد غيره. ويقول أيضا:

«...الجد الأول الذي علم الجميع ما لم يعلموا»؛" الرواية، ص: 51.

فهي عبارة محورة من سورة العلق حيث يقول الله تعالى: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}. "العلق، الآية: 5". أي «قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها». ². فهو نسب محتوى الآية القرآنية لطاغية لم يترك بعده إلا بصماته الإجرامية وطغيانه وتجبره الذي ورثه لمن أتى بعده، وقوله أيضا: «هاهو كبيركم الذي علمكم السحر فرانكي دوفوكو» "الرواية، ص: 351". والتي حورها من سورة الشعراء حيث يقول الله تعالى: {قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ}. "الشعراء، الآية: 48، 49".

فلو نظرنا إلى هذه الآية من زاوية المتكلم هنا في الآية القرآنية هو فرعون والمتكلم في الرواية هو الكوربو "الإرهاب"، فهو يحيلنا إلى بشاعة الإرهاب الذي سعى في الأرض فسادا وعبثا وسفكا لدماء الأبرياء دون ذنب يذكر، فهو ربطه لنا من خلال هذه الصورة

¹ - جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين - قرآن كريم، تح: صبري محمد موسى وفايز كامل،

ط3، دار الخير للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2003، ص: 596

² - مرجع نفسه، ص: 16.

القرآنية بالطاغية الأكبر "فرعون" الذي تجبر وكفر بالله وأهلك المسلمين، لا لذنوب يذكر إلا لأنهم آمنوا بالله واتبعوا طريق الهدى، فجازاه الله بالغرق هو وقومه، فبطش الإرهاب بالبشرية لا يقل عن بطش فرعون بالمسلمين، ولكن عندما ننظر من منظور آخر؛ وإلى كونه جعل "فرانكي دوفوكو" وسيدنا "موسى عليه السلام" في كفة واحدة. "فسيدنا موسى عليه السلام" هو من عباد الله المختارين الحاملين لرسالته، والمؤيد بمعجزات الله تعالى. ومهما كان دور الإنسان فعال في هذه الحياة الدنيا، فلن يرقى إلى مصاف الأنبياء والرسل المصطفين والمختارين لتبليغ رسالة الله.

وعليه نجد أن الكاتب تطرق إلى التنديد الذي طال الذات الإلهية من خلال اللغة المستعملة، والذي لا يمكن أن يكون له إلا تفسيراً واحداً، وهو سعيه ومحاولته للبحث عن مفهوم جديد للإله يقول:

« حيث يرى الكل، ولا أحد يراه. لا أحد يعرف وجهه إلا الصورة التي سربها صحفي فرنسي، كلفته غاليليا.. ». "الرواية، ص: 14". فهي في شقها الأول تحوير للآية القرآنية الواردة في سورة التغابن إذ يقول الله تعالى: {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}؛ "التغابن، الآية: 4". أي أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في السماوات والأرض من كل شيء ولا تخف عليه من ذلك خافية من قول أو فعل، وأنه عالم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه أنفسهم، أما شقها الثاني فهو تحوير للآية الواردة في سورة الأنعام إذ يقول الله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ

يُذَرِّكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؛" الأنعام، الآية:103"، أي «يرأها ولا تراه».¹

"فالله جل وعلا" لا تدركه الأبصار في الدنيا و لكنه سيرى في الآخرة.

فكل هذه الصفات التي تؤكد عظمة الله وقدرته التي لا تحدّها حدود نسبت لغير الله، فقد وردت مصاحبة لطاغية من البشر متسلط ومتجبر، فهو هنا نزل بالآيات التي تم تحويلها إلى أسفل السافلين. ولكن فهي قد تحيلنا من جهة أخرى أنه يقصد بهذا التحويل حادثة الإساءة إلى الرسول، والتي وردت في بعض الخطابات السياسية، وعلى لسان الرئيس الموريتاني تحديدا والذي قال في أحد خطابه "لست شارلي، ولست كوليبالي" والتي نجدها تتوافق مع ما ذهب إليه واسيني الأعرج في هذه العبارة، والتي تدفع بالمتلقي إلى التساؤل، من هو شارلي؟ ومن هو كوليبالي؟ ولما صيغة النفي هذه؟ حيث أن شارلي هو اسم صحيفة فرنسية قد أساءت إلى الرسول الكريم محمد برسوم ساخرة، أما كوليبالي اسم شخص مسلم قام بهجوم مسلح على متجر فرنسي، كرد فعل وتعبير عن الغضب والرفض لهذه الإساءة، فالرئيس يندد بما قامت به الصحيفة الفرنسية، وأنه ضد كل إساءة للإسلام والمسلمين، لكنه في نفس الوقت ضد التصرف الذي قام به كوليبالي بحجة رد الاعتبار للإسلام، وأنه هو الآخر ضد هذه التصرفات التي تمس بالإسلام، مروراً إلى قوله: «...نحو الرماد الذي عمى كل الأبصار والقلوب.»؛ "الرواية، ص:194".

«...زمننا مظلماً آت لا محالة سيعمي البصر والبصيرة.»؛ "الرواية، ص:42"

¹ - مرجع سابق، ص:141.

فقد تم تحويلها من الآية الواردة في سورة الحج حيث يقول الله تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَا تَكِنُ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }؛ "الحج، الآية: 44". ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى المعاصي والذنوب التي عمت القلوب، لأن الشعوب جافاهم الصواب فاتبعوا طريق الباطل والضلال وذلك مرده لفقدان البصيرة.

لكن الكاتب أقر ببشاعة الأوضاع التي عمت القلوب والصدور، فهي لم تكتفِ بالصدور كما ذكر الله تعالى، بل تجاوزتها إلى الأبصار التي أصبحت عمياء بالشر والإساءة ولا تبصر إلى طريق الدماء وإراقتها، وذلك بخروج الشر الكامن في القلوب والصدور فأصبحوا عميا القلوب والأبصار في آن واحد، مروراً بنا نحو صورة أخرى تستوجب منا الوقوف أمامها متسائلين حيث يقول:

«..من طلبت منه أن يسقني مطراً في عز القيظ فليرمني في البحر الميت لأموت بسرعة بملح الرحمة، من ظن أنه سيدي فلينزح مني روعي الذي يظن أنه مالكها...»؛ "الرواية، ص: 42".

فلو نظرنا إلى هذه العبارة من الوهلة الأولى سنجدنا ناقماً ساخطاً من القضاء والقدر الذي لم ينصفه ولم يكن حليفه، ولكنه يقف موقف الناقم من الحياة موجهاً خطابه إلى "الرب" باعتبار الأرباب في هذه الحياة كثر، والذي ساعده وقت الحاجة واللجوء إليه ليأسره، واحتواه لحظة لجوئه إليه ليستحوذ عليه، لدرجة أنه وصل إلى حد القنوط وتمنى

الموت ليخلص نفسه من هول ما يعيشه، ومن هذا الصنيع والجميل الذي جعله مسلوب القوة والإرادة يقول:

«...بلا خوف من قبيلة أو حرس قاتل أو إله أخرس. يسمع الأحاديث السرية، يضحك أو يبكي، لكنه لن يضطر إلى الاعتذار من أحد، لأن لا يفقد الظل. سمة العصر أن تكون أملس كالعلق، تتزلق بين أصابع الموت، وتمص دم من تريد، ثم تمضي كأن شيئاً لم يكن...». الرواية، ص:57.

فهو يواصل حديثه عن هذا الرب الذي وصفه بإله أخرس، الذي يسمع ما تخفيه الصدور ومكامن القلوب، والذي يرى في علمه هذا الكبير جريمة في حق البشرية وأنه تطفلاً يستوجب الاعتذار عليه، ولكنه رغم هذا التطفل والتطلع على أسرار الخلق لا يعتمد إلى الاعتذار لأنه متسلط يتعامل مع الخلق بالترفع عنهم، لكي لا يفقد ضلّته الذي لازمه منذ الأزل، وعرشه الذي لم يبرحه أبداً، وعاش في ظل الأسطورة التي خلّدتها على حساب البشر والبشرية، فهو يقف موقف الرفض لهذا الحكم الخفي والغيبى الذي سلّط عليه من حيث لا يدري وأحاط به وتوغل في أعماقه، ولكنه يعود ليقر بإيمانه بمآل الإنسان وبالقضاء والقدر، ولكنه تمنى أن يكون أملس كالعلق ليفر من قيود هذا القدر الذي لزمه بجبريته وقيوده وتكبله له من حيث لا يدري، فهو يقف موفق الناقم على القدر ومن الرب والإله الذي جعله مسيراً لا مخرجاً، وكأنه بين مد الخضوع لهذا الرب وزجر الرفض له، يقول: «...أشتهي أن أكون ظلاً فقط لأنتقم من نفسي ضد من يظن أنه أنشأني من سر

التربة ويعرفني جيدا». "الرواية، ص: 57". فمن خلقه من سر التربة يا ترى؟ ولما ينتقم من نفسه التي هي أمانة لله التي وجب عليه الحفاظ عليها؟

فمن المتعارف عليه أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام من الأرض أي مما تحويه، وذلك في قوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾. "طه، الآية: 54". ثم جبلت تربتها بالماء فكانت طينا وفي ذلك يقول رب العالمين: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾. "الأنعام، الآية: 3".

فهذه صور تجيب عن سؤالنا وعن من خلق الإنسان من سر التربة، والذي يرغب الكاتب في الانتقام من نفسه ضد هذا الخالق الذي أقر بربوبيته وبوجوده وخلقته وتسييره، ولكنه يظهر في صورة الناقم منه والرافض له، لدرجة أنه تمنى أن ينتقم منه لكونه خلقه من سر التربة وقيده لكي لا يعيش حرا وكما يحلو له، بل أن يعيش وفق حدود هذا الرب والإله، ولكنه لم يجد سبيلا في مخالفته والخروج عن طوعه، إلا أن ينتقم من هذا الجسد المحروم والمقيد الذي هو بمثابة عالة على عاتق صاحبه. يقول:

«أنا آدم، القليل منكم يعرفني أو سمع بي. اختزلت كل شيء في اسمي ومساري. حملت رماد الجنة وحطام امرأة لم اعرفها إلا قليلا، وغادرت المكان بخطي حثيثة، يوم انتصر الشيطان واستولى على العرش كله الذي أراده منذ بدء الخليقة». "الرواية، ص: 57". يقول القصص القرآني أن الله عز وجل خلق أبو الجن "سوميا" قبل خلق "آدم عليه السلام"

بألقي عام، وقال الله سبحانه وتعالى لـ"سوميا" تمنى، فقال "سوميا" أتمنى أن نرى ولا نرى، وأن نغيب في الثرى، وأن يصير كهلنا شابا، فاستجاب له الله سبحانه وتعالى، وهكذا كان الجن أول من عبد الله في الأرض، ولكنهم عثوا بعد ذلك في الأرض فساداً، فطردهم الله من رحمته وحرمت عليهم الجنة¹، لكن الكاتب أورد عكس ذلك تماماً، من خلال ربطه في هذه العبارة بين آدم أبو البشرية والشیطان، حيث ورد آدم هنا في صورة الذي اختزل كل شيء في اسمه ومساره، الحامل للخطيئة والذنب والمطروود من الجنة، إذ كانت الغواية سبب في جعله يحمل الخطيئة على عاتقه ليوم الدين وذلك بطرده ونزوله من الجنة إلى الأرض.

ولكن الكاتب يبالغ في وصفه للشیطان بأنه استولى على العرش الذي أراده ورغب فيه منذ بدء الخليقة، على الرغم من أن الشيطان لم يستولِ على العرش بل طرد من رحمة الله وحرمت عليه الجنة إلى يوم الدين، وكأن الكاتب يريد أن يقول بأن الشيطان انتصر على الخالق، وذلك بإغوائه لآدم وحواء وتمكنه من جعلهما يطردان من الجنة إلى الأرض، ولم يكتفِ بذلك بل توعد بأنه سيغوي ذرية آدم أجمعين، وأن نسل آدم وذريته أصبحوا على وقع الشيطان سائرون، والقلة القليلة منهم مهتدون، وهنا نجد بالغا كثيرا في قوله، لأن الله هو رب السماوات والأرض ومن فيهن، وما كان للشیطان أن يسعى في إغوائه للبشر إلا بإذن الله لكي يميز المؤمن من الكافر، ومن ثم هو أحق بالجنة والنار. لأن هذه الدنيا بمثابة يوم امتحان يقول:

¹ - www.alukah.net

«...يمكن أن يكون زبانية ذلك الوغد يراقبون كل حركاتنا.»؛ "الرواية، ص:376". فكلمة زبانية ورد ذكرها في القرآن الكريم مرات عدة، وهم ملائكة شداد غلاظ، قيل يعملون بأيديهم وأرجلهم، وفي الأخبار، الزبانية: ملائكة رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض، وهم يدفعون الكفار في جهنم، وهم أعظم الملائكة خلقاً¹، إذ يقول الله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}. "العلق، 18، 19". وكما أن الزبانية: قد تكون ملائكة تدفع أهل النار إليها، وفي الوقت نفسه يمكن أن تكون أيضاً؛ الشرطة التي تسهر على أمن البلاد، وتكون في خدمة الحاكم على تنظيم البلاد وشؤون العباد، وفي كلتا الحالتين الزبانية: هم مراقبو الزلات والأخطاء والهفوات، ليسوقوا مرتكبها إما إلى جهنم أو إلى غياهب السجن، وفي كلتا الحالتين فهو يصور الضغط المسلط على الآدميين من سلطة مسلطة عليهم يقول: «..لم يكن الميجر توني مخطئاً عندما أطلق عليها ليلة القيامة». "الرواية، ص:38". فيوم القيامة له مرادفات كثيرة أهمها: نهاية الزمان، نهاية الوقت، الأيام الأخيرة، يوم الحكم والقضاء، وهو مذكور في القرآن الكريم في الكثير من المواضع والآيات، حيث جاء ذكره في سبعين موضعاً وآية، ومن تلك المواضع قوله تعالى: {لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُفُّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}. "النساء، الآية:86". يشتمل يوم القيامة على مراحل عظيمة ومواقف هائلة، تم ذكرها في نصوص القرآن والسنة، وأول هذه المراحل هو بعث الناس وخروجهم من القبور وحشرهم جميعاً حفاة عراة، ثم يأتي الأنبياء للفصل في أمرهم، فتكون الشجاعة الكبرى "لمحمد صلى الله

¹-<https://ar.wikipedia.org->

عليه وسلم"، ثم تتطير الصحف ويأخذ كل إنسان كتابه بيمينه، وذلك بعد النفخ في الصور لينهي الحياة في السماء والأرض فيموت كل من في الأرض والسماء، غير الله سبحانه وتعالى¹. لكن تشبيه الكاتب لتفريغ القلعة ونسفها وتدميرها وجعل عاليها سافلها من قبل الطغاة والمجرمين الأمريكان المحتلين بالله تعالى، وفعلتهم الشنعاء بيوم القيامة هو أمر لا يتحملة عقل عاقل، وذلك بتحويله لواقعة يوم الحساب وربطها بيوم توجيه أمريكا للسلاح النووي على أرض العرب، فهو تشبيه يحمل الكثير من الإستفهامات، لأنه لا يمكن الربط بين الله سبحانه وتعالى الذي ما ختم الحياة إلا ليخلد بعدها من آمن واتقى وصدق بالحسنى، ويعوضه عن حرمانه لنفسه من اللذات المحرمة الزائلة ابتغاء لوجه الله، ويهلك من كذب وعصى، وما مقصد أمريكا كهذا، لأن هدفها الفتك بالأبرياء والنهب والتدمير لا غير، أما إذا نظرنا لها من زاوية أخرى مفادها؛ تأكيد هول البطش والهلاك الذي لحق بالقلعة وبأرض العرب دون غيرهم، لكن القيامة هي يوم الختام والفصل الذي ينال فيه كل إنسان حسابه وجزاءه على أفعاله بالحق والعدل، إذ لكل ذي حق حقه، ولكن تهجير القلعة وتدميرها مبدؤه من الأول قائم على الغدر والاحتيال، وهو الذي يجعلنا نعيد النظر في المسألة، إذ كيف تشبه مكائد الغاصبين، بقضاء رب العالمين. مروراً بنا نحو صورة أخرى مليئة بالتعجب والاستفهام يقول: «...يتقاتلون على لا شيء لكنني مستغرب كيف لا يأكلون لحم بعضهم البعض ويفضلون الموت والتحول إلى غبار للمقابر»؛ "الرواية، ص:70".

¹ - mawdoo3.com

فالكاتب هنا يرد في صورة المتعجب من العرب المتهاكين المتقاتلين على بقايا جذور النباتات وأوراق الأشجار والديدان، ولكن لم يجرؤ أحد منهم على أكل لحم الموتى المتوفر بكثرة، فهل هذا مرده إلى كون الله نهى عنه وحرمه؟ ولماذا تحمل هذا الجوع الشديد الذي أدى بهم إلى الهلاك دون أن يقدموا على هذه الجثث المتهاكة التي قد تمكنهم من أن ينجذوا أنفسهم من موت حتمي؟ يقول الله تعالى في محكم تنزيله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**.
"الحجرات، الآية: 12".

فهي صورة صريحة عن تحريم الله سبحانه وتعالى لحم الميت، لتؤكد طاعة الإنسان المؤمن خصوصاً لله سبحانه وتعالى، والامتنثال لأوامره والانتهاز عن نواهيه، حتى في أشد لحظات ضعفه وحاجته لم يقبل على ما حذر الله منه ونهى عنه، لأن الإنسان المؤمن بالله حق الإيمان؛ لن يبيع رضا الله والجنة التي طالما طمع فيها وسعى للظفر بها مهما كلفه الثمن، ومهما كان ضعف الإنسان أحياناً أمام وساوس الشيطان، إلا ويسرع للتوبة والتكفير عن ذنبه، فهو لم يقدم على قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، على عكس الغربي الذي يقوم بذلك وهو متلذذ بفعلته، لأن الإنسان إن لم يكن خائفاً من غضب الله في آخر لحظاته وختامه، وساعياً فيها إلى جعل ختامه مسكياً فمتى سيكون؟ وعليه نقف على صورة من الإيمان بالله وحبهِ والخوف منه، ولكن الغريب هنا أن تعتري

الكاتب هذه الحيرة وأن يقف موقف المتسائل عن سبب الامتناع عن أكل لحم البشر، وكأنه لا يؤمن بذلك الوازع الديني الذي يقيد الرغبات المحرمة والممنوعة مهما كان نوعها، وأن الإنسان المؤمن من أجل الآخرة مستعد أن يبيع الدنيا ولذاتها، وليس الميتة أو الجيفة فقط يقول: «...رماد هو جدهم الأول. يقف على رأس السلالة. يموت الجميع ويظل هو حارسا شرسا على الهضبة العليا. كلما تذكر كلمات جدته ويقينها، ضحك من نظرية داروين التي اتفقت معها الجدة من حيث الأصل الحيواني للإنسان، ولكنها سحبت وراءها ذئبا وليس قردا؟ القرد بني آدم ممسوخ، والذئب ظل أصيلا وسيد نفسه. هل سمعت بذئب أضحك الناس وتحول إلى مسخرة؟ القرد هذه وظيفته، أن يقلد وأن يضحك الناس عليه من وراء الشبابيك. ثم جدك رماد يخافه الناس من بعيد، ويعرف أيضا قدره»؛ "الرواية، ص: 87".

فهي عبارة تؤكد أن الإنسان لم يخلق من تراب ومن صلب الأرض كما ورد في القرآن الكريم، ولكنها تؤكد أنه ينحدر من سلالة الذئاب، حيث يموت الجميع ويبقى هو باعتبار أنه هو الأول والآخر، وأن الإنسان أخذ منه الشراسة والغدر والمكر والدهاء الذي تغلغل فيهم وساد منذ عصور وأزمنة، رغم أن ما هذه إلا أساطير بدائية تعبر عن التصور البدائي الخالي من الإيمان، ولكن الغريب أن تأخذ الأفكار البدائية محلا كبيرا من حياة الإنسان الذي بزغت في وجهه شمس الديانات السماوية، وأن يتخذ من الطوغم رمزا وقوة خارقة يستنجد بها عند الصعاب والشدائد، لكن المحير هل هذا نوع الأصالة

والبدائية؟ أو تأكيد على كثرة الملحدين في جسد المسلمين؟ أم أن الرياء استعمر قلوب المسلمين؟ أم عدم إيمانه أن عهد الطوطم والطوطمية اضمحل وتلاشى ببزوغ فجر الإسلام؟ ولم يعد له وجود إلا في الأساطير يقول:

« امنحني يا رماد، يا سيد السلالة التي أكلتها الأنواء ورمال العطش والحروب... امنحني بعض شرك قبل أن أستسلم لسلطان الضغينة... أنت تعرف، أنه بلا جنون، لا مستقبل للحياة. لم تطلب من أحد أن... يرفعك في الأعالي..»؛ "الرواية، ص:45".

يظهر الكاتب هنا في صورة التائه الذي يبحث عن إله يتمشى ونفسه الساعية نحو الحرية التي لا تحدها حدود ولا تقيدتها قيود، فعوض أن يتضرع لله نجده يتضرع للذئب رماد، ويطلب منه العون والإغاثة باعتباره السيد والقادر والمقتدر وسيد السلالة البشرية، طالبا منه علما ثاقبا يمكنه من النفاذ من قسوة هذه الحياة وجبروتها وترويضها، مؤكدا بأن رماد طوطمه وريه وسيده مستوطن في الأعالي إذ لا قوة تعلوه يقول:

«...رفع رأسه عاليا نحو سماء فارغة، بلا لون ولا سلطان»؛ "الرواية، ص:195".

فهو هنا يواصل كلامه الذي يؤكد إيمانه ومعتقداته البعيد عن كل ذلك التقديس السماوي وذلك من خلال تأكيده بأن السماء فارغة وخالية من كل ماله علاقة بالتدبير والتسيير، يواصل في إسهابه يقول: «...انتصار على الأقدار المرسومة»؛ "الرواية، ص:195".

فهنا نجده يقر أنه مهما كان متأكدا من وجود تسيير سماوي وغيبى إلا أنه لا يؤمن به ويفرضياته وبأقذاره المرسومة وأنه ساع للانتصار عليها يقول:

« بسبب تنظيم سرق إرادة الله نفسها »؛ "الرواية، ص:219". فهنا يتحدث عن التنظيم وأعماله الصارخة بالقتل والتخريب وزهق الأرواح، ولكنه يقر أن هذه القوة الصارخة بالعنف ما هي إلا سلوكات صادرة من الله سبحانه وتعالى، ولكنها سلبت منه من قبل التنظيم، فهو هنا يقف موقف المستهزئ والساخر من الإرادة الإلهية التي تعلو ولا يعلا عليها يقول: « محا التنظيم كل الماضي الإنساني نهائيا فحطمت ألواح جلامش أو ما تبقى منها »؛ "الرواية، ص:274".

يرى أن الدين الإسلامي الذي نزل من السماء كان سببا في خلق هذا التنظيم الذي عمد إلى القضاء على كل إبداع وإنتاج فني إذ أنه محا كل معالم الفن والإبداع وقيد المبدعين، وقضى على كل الفنون والآثار الأصيلة التي تعبر عن ثراء الأمم وتميز الشعوب ووعيتها ورفقيها، وكأن الدين الإسلامي مذنّب في إبطاله للخرافات وتقنيدها، وتقبيده لقوى الشر يقول:

«...لهذا استاءت علاقتي بكل الأديان لأنها كلها بنيت على الدم. أعطيني ديناً واحداً من الأديان السماوية لم يسلحوه، ولم يبن على الخوف والدم...»؛ "الرواية، ص:300". ففي هذه الفقرة نجده يصف الأديان السماوية بأنها أديان مسلحة ومريقة للدماء عنيفة وعدوانية، وكأنها جاءت لتجرد الإنسان من إنسانيته، وتجعله يلهث من أجل السفك والفتك دون أي

رحمة، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه للطرح هل الدين مسلح منذ نزوله من السماء؟ أم سلحه البشر بعدما آمنوا به وتبنوه ديناً لهم؟

يقول: « بوزية. هي مرتاحة. لأن دينها لا يؤمن لا بالفتوحات والامتداد نحو الأراضي الأخرى...»؛ "الرواية، ص:300". فهو يؤكد بأن الدين الإسلامي دين سلاح ودماء وقتل وإبادة، على عكس الديانات اليهودية الأخرى التي لا تعرف القتل والسفك، باعتبار أن هدفها خال من أي أوامر إلهية وتشريع لسفك الدماء تحت شعار الفتوحات الإسلامية، عكس ما دعا إليه ديننا الحنيف، ويؤكد ذلك من خلال ربط الدين الإسلامي بحروب الفتوحات الإسلامية التي نجدها قائمة على الدفاع عن المال والأرواح ودرء الشر والخطر الداهم، لكنه يوظف هذه الفتوحات الإسلامية توظيفاً مشيناً يحط من قيمتها ومن قيمة من شرعها وحث عليها، لأنها تتسم بالقتل والإبادة لا غير.

كما أننا نجده يقف موقف المتهم من العرب وانتصاراتهم واصفاً هذه البطولات بالشروع والتقتيل إذ لم يكتفِ بذلك بل راح يتعمق في وصف العرب والمسلمين وصفاً مشيناً يقول:

«...أشاعوا فكرة أنها مسكونة بالأرواح الشريرة وكل من يقربها تمزقه. قتلوا الكثير من العابرين فقط ليثبتوا للأعداء أنها مسكونة...»؛ "الرواية، ص:124". فهو يؤكد أن المسلمين لم يحققوا نصراً بالقوة والشجاعة والبسالة والتسيير الحسن المنظم الخالي من كل غدر وزيف وخداع، بل أن تصرفات المسلمين الذين حاربوا في سبيل الله وفي سبيل الدين

والإسلام والمسلمين، ما هي إلا أعمال مشينة قائمة على الطرق الملتوية المتسمة بالغدر والخداع، فهو هنا عمد إلى إهانة المسلمين والخط من أخلاقهم وسلوكاتهم ومن قيمة الدين الإسلامي الحنيف الحاملين للواءه، ولم يكتفِ بذلك بل عمد إلى خرق التاريخ وزعزعة معالمه ورموزه التي طالما سعى إلى تخليدها وجعل صورتها مشرقة. إذ يواصل سخريته من العرب والمسلمين يقول:

«...لم تفتح في الفترة الإسلامية أبداً بالقوة، بل بالحيلة والخداع...»؛ "الرواية، ص: 125".

نجد أنه يؤكد ما قاله وبلغه صريحة صارخة بالإدانة للعرب والمسلمين، والمتمثلة في الحيل والمكر والخداع التي حققوا بفضلها انتصاراتهم التي خلدها التاريخ وأغفل خداعهم. مروراً بنا إلى لغة العرب الزائلة رغم كونها لغة القرآن يقول:

« ارتسمت على شاشة التليفون الصغير كتابة باللغة العربية التي أصبحت لغة الأقليات »؛ "الرواية، ص: 319".

«أستغرب كيف لأمريكي أن يصر على الكتابة بلغة ماتت من زمان»؛ "الرواية، ص: 23" «عندما سألته عن إصراره على الكتابة بلغته، قال وكأنه ينتظر سؤالاً: أنا مستمتع لكتابة هذه البراكين برمادها. لم تعد اللغة مشكلة..»؛ "الرواية، ص: 23".

«..بلغت أصبحت في عداد الموتى..»؛ "الرواية، ص: 95".

فهو يقر بزوال اللغة العربية وتلاشيها وموتها مثل الشعوب الناطقة بها لأن حالها من حالهم ومآلهم، فالأراضي دخلها العدو واستوطن فيها واللغة غزاها الدخيل من الألفاظ والتعريب الذي تغلغل فيها، على الرغم من كون هذه اللغة هي اللغة الوحيدة التي خصها الله من بين اللغات وفضلها باعتبارها لغة القرآن الكريم المعجز بألفاظه ومعانيه، وكل العلوم ناتجة من رحم القرآن الكريم، وذلك بتأكيد من الإعجاز العلمي الذي أثبت ذلك مرارا وتكرارا، وأكد علو قيمة القرآن ولغته على كل لغات العالم مهما كانت مواكبة للتطور والعصرنة.

يوصل الكاتب حديثه عن قلعة أميروبا التي تعتبر قلعة أمريكية في قلب أرض العرب، إذ أخذ يصفها بكل جزئياتها، ذكرا لكل ركن فيها ومن أسسه بدءا بالجسر الذي بناه "الظاهر غازي بن صلاح الدين"، وقاعة العرش التي على جدرانها كتابة تعلن انتصار الجيوش العربية على الأرمن والتاتار والصليبيين، يقول:

« على الجدار الأيمن للمدخل كانت توجد كتابة تعلن انتصار الجيوش العربية على الأرمن والتاتار والصليبيين، لكنها محيت نهائيا وكتبت في مكانها جملة شديدة القسوة: في عقر دارك يا صلاح الدين. ثم الباب الثاني من القرن 13، نقش فوقه أسدان، بينهما شجرة نخيل، عليه مسامير كبيرة، ثم بهو كان فيه مقام سيدنا الخضر. يأتي الباب الثالث الذي يقود إلى الممرات السرية. فالباب الرابع، يعلوه من الجانبين نقش أسدين أحدهما

ضاحك والآخر باكي، فوقه كتابة أيوبية من عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين...»؛ "الرواية، ص:129".

ويقول أيضا: « اتكأ آدم على الحائط القديم. حائط صلاح الدين. يعرف مكانه حتى من دون أن يفتح عينيه. فجأة اخترقت أنفه الرائحة الكريهة التي تشبه عفن الرطوبة والسلاحف الميتة التي تتعفن في مكانها...»؛ "الرواية، ص:130".

فالمتمأمل لهذه الفقرة يجد بأنها تحيل إلى الخيبة والانكسار والتعفن العربي بعد بطولات وأمجاد شهدتها التاريخ وخلدها ولكن نزل بها التابعين إلى الحضيض، وحلت الخيبة والضعف والانكسار محلها، وحلول الغرب في مكان كهذا كله بطولة وأمجاد فهو ليس بالأمر العادي ولا الهين، خاصة أن يحمل هذا المكان تحديدا كتابة انتصار العرب على غيرهم وإزالتها بيد غربية وتعويضها بعبارة "في عقر دارك يا صلاح الدين" فهي تأكيد على انقلاب الآية وهزم الغرب للعرب وفي عقر دارهم، ومقام سيدنا "الخضر عليه السلام" واسمه الحقيقي "بليا بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وسبب تسميته انه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن "النبي صلى الله عليه وسلم" قال: { إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضرة }، فهو لا يجلس على خشبة يابسة إلا واخضرت وإذا صلى اخضر ما حوله وإذا مر على أرض بيضاء تهتز خضراء من خلفه، إضافة إلى كونه ولي من أولياء الصالحين عالما ببعض أمور الغيب ومبعوثا إلى جميع الثقليين: "الجن والإنس"، حيث

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: {فَوَجَدَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا، قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}؛ "الكهف، الآية: 64، 65، 66". ففي هذه الآية القرآنية ندرك مدى علم وحكمة وصبر سيدنا الخضر عليه السلام¹، إذ كانت له القدرة الفائقة على تفسير ما ذاقوا به ذرعا، إذ قصده نبي الله موسى ليتعلم من علمه الغزير...، فمن هنا ندرك أن حلول الغرب بالأراضي العربية التي خلدت فيها رموز صارخة بالقوة والعظمة كهذه، يظهر أن الغرب لم يكن بالهين لأنه عرف كيف يسيطر على معالم القوة والشجاعة والبسالة والانتصارات، إضافة إلى استيلائه على رموز الحكمة والصبر والعلم الكبير والسيطرة على علم الغيب والتسيير وشؤون التدبير، إذ أنه طمس معالم المجد والبطولة التي عوضت بالخيانة واللامبالاة لدرجة أنه بلغ حد التعفن الذي امتزج بحاضرها المؤلم والمشين الذي غطى كل تلك الأمجاد يقول:

«لأشياء في الطابق السابع إلا صمت وبياض مبهم، يتسع كل يوم قليلا»؛ "الرواية، ص: 13". فالطابق السابع هو إشارة إلى السماء السابعة التي يوجد فوقها عرش رب العالمين، لأنه ليس داخل العالم بل منفصل عنه، ولكنه لا يخفَ عليه شيء من أعمال بني آدم، كما أنه هناك توافُق بين السماوات السبع وعدد ذكرها في القرآن الكريم، ليدل دلالة قطعية أن خالق السماوات السبع هو خالق القرآن الكريم²، ولكن الذي يتوجب

¹ - ينظر، أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، م3، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص: 91، 92، 93.

² - <https://islamqa.info>

علينا الوقوف عنده مرارا وتكرارا، لما الطابق السابع؟ دون آخر من الطوابق؟ ولما حاكم يدرك الأبصار ولا تدركه...؟

فقد عمد هنا إلى إعطاء مفهوم جديد لله، من خلال الربط بين الألوهية وكيثونة الإنسان، وكأنه يحاول أن يصنع من الكيثونة ألوهية وأن يجعل من الألوهية كيثونة. وهو أمر لا يمكنه أن يكون، ولا حتى مجرد التفكير فيه، ولعل فكرته هذه نابعة من رفضه لذلك المفهوم الذي وجده سائدا في المجتمع والمعتقد منذ أزمنة، وربما يريد من خلال هذا الوصف الذي وصف به إنسان طاغية حامل لكل صفات التجبر والتسلط، إحالة أن الله ليس عادل ولا منصف للمقهورين الذين لا حول ولا قوة لهم، والذين لا قوا الويل والهوان من الطغاة والمعتدين، على الرغم من أن العدالة الإلهية تتحقق في الأرض قبل السماء، وكأن الله لم يأبه لأمرهم ولم يحرك ساكنا لنصرتهم، ولم يستوعب أن القضية ما هي إلا مسألة وقت، وأن الله يمهل ولا يهمل وأنه ليس بظلام للعبيد.

إلا أن تحويل القرآن على هذه الشاكلة هي إدانة للخطاب الديني المعاصر الذي يتسم بالعجز واللافعالية في صراع الحضارات وتقاتلها وترجمة الدين وتشريعاته بالشكل الخطأ الذي يسيء كثيرا له. فالدين هنا في معظم المواقف التي تعرضنا إليها في المتن الروائي إما مبتورا أو محملا بكثير من الزيادات التي ترفع من قيمة الآدميين وتحط من قيمة الإله والمقدسات، أو منقوصا من أمور تعرقل فكرة الروائي في الوصول إلى مبتغاه، أو تجعل المتلقي ينظر إليها من زاوية متشددة، فالأفضل أن يكون هناك فهم جيد للدين وما نص

عليه، لأنه كلمة الله الأخيرة التي كانت ختام كل الرسالات السماوية، لهذا جاء بشريعة عامة تتسع للأقطار كلها، وللناس جمعاء، وهو من يقدر الواجب والضرورة والمصلحة.

يمكن القول أخيرا أن الخطاب الديني عند "واسيني الأعرج" لم يكن طاغيا وإنما حضوره كان نسبيا، كما كان مرتبطا بخطابات أخرى، ولم يظهر كخطاب قائم بذاته أبدا، كما أنه سعى إلى ربط الصلة بأنواع عديدة من الخطابات لعل أهمها الخطاب السياسي والجنسي، كما رأينا سابقا حيث استعمله بغية تحطيم الحواجز وتكسير القيود التي فرضها عليه المجتمع واطر عليها بخطوط حمراء، ومما لاشك فيه أن للمجتمع دور كبير في هذه المغالطة، لأن العادات والتقاليد والمعاملات ليس الدين أو الشرع منشؤها، بل المجتمع هو الذي أنشأها وفرضها، والدين جاء مصححا ومعدلا ومهذبا لها، ومقررا في بعض الأحيان ماخلا عن الفساد والضرر منها، وهنا يمكننا إرجاع هذا التوظيف للدين إلى عدم الانتماء أو عدم الفهم الجيد للدين الإسلامي الحنيف بالشكل الصحيح، وعقم التفكير في كيفية استغلاله بشكل يليق بما يعنيه هو حقا، لتمرير رسالة هو العالم الوحيد بحديثاتها، لتبطل أمور وتفندها أو تزعزع عند المتلقي قيمتها وقداستها، وتمرر رسالة أخرى وتغرس أمور وتؤكددها.



الفصل الرابع

المسكوت عن الجنس



تعد كتابة الجنس في الرواية، أمراً حديثاً مقارنة مع الموضوعين الآخرين المشكلين لأضلع الثلاث المحرم "الدين والسياسة"، والسبب الحقيقي وراء هذا التأخر كان مرده إلى مجموعة من الأطر الدينية والعادات والتقاليد التي عاش الإنسان تحت رحمتها، والتي سيطرت على تفكير المجتمع العربي بشكل عام والمجتمع الجزائري بشكل خاص.

إلا أن موضوع الجنس، كان وسيلة لتخليص المجتمع العربي من عقده المتراكمة، التي ظل بسببها يُنظر إلى الجنس بنظرة معادية تحمل الكثير من الخوف والرغبة من جهة، والشوق لمعرفته أكثر من جهة أخرى.

أما على الساحة الأدبية الجزائرية فلم يتحرر الكتاب والمبدعين إلا بعد 1988م، بدءاً بنخبة من الروائيين "كرشيد بوجدر"، في روايته "الحزون العنيد"، و"ليليات امرأة آرق"، اللتين اتخذ فيهما الروائي الجنس كموضوع رئيسي، ولم يكن مجرد إشارات أو ومضات. وكذلك نجد "واسيني الأعرج" في روايته: "توار اللوز" و"مصرع أحلام مريم الوديعة". وغيرهم من الروائيين...

وعلى الرغم من أن كل من "عبد الحميد بن هدوقة" و"الطاهر وطار" كان لهم السبق في الكتابة الروائية الجزائرية، إلا أن حضور الجنس كمادة أساسية تثري الرواية، لم يكن غاية أو وسيلة لأي منهما، إنما كانت منطلقاتهم ثورية، اجتماعية، سياسية، أيديولوجية بحتة. إلا أننا نجد في المقابل بعض الروائيين الذين ثاروا على هذه الأنماط التقليدية، فسعوا إلى جعل الجنس أحد أهم العوامل للتجديد في الكتابة الروائية. فانطلقوا من الجسد باعتباره من أهم الموجودات الكونية التي تركز عليها شهوات الإنسان.

إن استحضار الجنس في الكتابة الروائية ليس كقيمة فقط، وإنما كشكل سردي؛ لأنها تنصب على الجسد كثقافة وكبعد جمالي متأرجح بين المقدس والمدنس، وبين العذرية والمجون؛ إذ تتكرر كلمة الجسد من خلال تصوير اللقاءات واللحظات الصارخة بالجنس، والهدف من ذلك عكس محمول المدنس وتنوع حالاته وعلاقاته، وذلك من خلال ربطه

بالجنس واللذة والمغامرة...، فالجسد هنا هو سبيل لاكتشاف المسكوت وسبر أغواره، من خلال الرواية التي فتحت أبواب الممنوع الجنسي على الجسد الذي هو من المنظور الثقافي العام منطقة خصوصية ومحرمة. فهذا الخوض كان دافعه الأول إيمانهم أن الأدب مرآة للواقع وانعكاس له، كما أنهم يرون بضرورة تسليط الضوء على الواقع بكل سلبياته وإيجابياته، وذلك من خلال تمزيق حبال الممنوع والمحظور وتعريته، معتبرين أن الذي لا يكشف الخطيئة ولا يدين الفضائح هو مشارك فيها، فالكاتب الحقيقي هو الذي يحاول أن يخترق الخطوط الحمراء التي تستقره، وذلك من خلال استقراء الأمراض والعلل السائدة في المجتمع وتسليط الضوء عليها. ومهما كانت العلة أن يشخصها بأسلوب أدبي محض، فالأديب لا يكتب دون معرفة أو اطلاع، حيث يجب على الذي يكتب عن هذه المواضيع المحظورة، أن يكون مثقفا مطلعاً لأن هدفه ليس الجنس غالباً، بل الإسهام في العلاج والتغيير، على الرغم من أن ذلك لا يرضي المجتمع غالباً؛ لأن هذه المواضيع تتصف بالجرأة الكبيرة في وصف المشاهد الإباحية وتسمية الأعضاء الجنسية، فتجاوزت المعهود وذلك برمي أبطالها نحو الحدود القصوى للممارسة الجنسية...

تتميز الأعمال الروائية الفنية والإبداعية للروائي الجزائري "واسيني الأعرج" بالنزوح نحو خرق جماليات الكتابة الروائية، وذلك من خلال سعيه الدعوب إلى التعدد والتنوع في الأشكال والصياغة، كما يعدل عن أي تقعيد وضبط محدد، لأنه لا يبنّي رواياته بحسب البنى النمطية السائدة عند الأغلبية، بقدر ما تشكل مغامرة فنية ناتجة عن ثقافة واسعة واطلاع كبير، جاعلاً من الواقع أرضية لأعماله وإبداعاته، ولكن ببصمة واسينية.

كما نجده هنا في هذه الرواية فتح شرفات على الضلع الثالث للتأبؤ، باعتبار أن السرد هو المحور المركزي وأداة للكشف عما هو مغيب ومسكوت عنه في حياتنا وثقافتنا، إذ عمد في طرحه إلى تقديم الجنس كعالم سردي متآلف منسجم يجعلنا لا نرى في ذلك شذوذاً أو تطرفاً أو وقاحة أخلاقية، بطرح مخالف تماماً للروائيين العرب والجزائريين الذين

غالبا ما تتميز كتاباتهم بالثورة على الثقافة الذكورية وسلطة الرجل ضد المرأة المستمدة من الدين والموروث الثقافي القبلي، والمطالبة بحرية المرأة ورفض استغلال الرجل للمرأة أيا كان نوع هذا الاستغلال، حتى وإن كان تحت لواء الشرع. إذ يغلب على طرحهم لقضية الجنس في الغالب؛ ربطه بقضية الاغتصاب الذي هو بمثابة شهادة وفات أو شهادة انحراف وعهر، وطرحهم للأسباب التي تدفع المرأة إلى الانحراف والسقوط وإرجاعها إلى أسباب مادية: كالجوع، الفقر، الحاجة، العوز، وليس لحاجة جنسية، وأحيانا مردها إلى ممارسة الحرية في غياب الوعي الاجتماعي (التمرد) أي حرية بلا هدف ولا نتيجة. والبطلة في طرحهم تمثل الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه ولا تمثيلها، إلا بالانطواء تحت رحمة الآخر، وبالتالي زجها في الهامش المعتم، والكبت والحرمان أو الفرار إلى أحضان العهر والشذوذ. إلا أنه في هذه الرواية "حكاية العربي الأخير 2084" التي نحن بصدد دراستها؛ نجد الروائي سلط الأضواء على المرأة الغربية، وجعلها تبرز بوجه فيه الكثير من الجدة، مركزا على القضايا التي شغلها، سواء تعلق الأمر بالعلاقات الخاصة (الجنسية) أو بطموحاتها وسعيها الدعوب وراء تحقيق هذه الطموحات وإثبات وجودها، بالإضافة إلى لوحات جنسية أخرى مختلفة...

1- قضايا المرأة من حيث العلاقات:

يعد الجسد من المنظور الثقافي العام منطقة خصوصية ومحرمة، إلا أن رواية "حكاية العربي الأخير 2084" فتحت أبواب هذه الممنوعات والمحظورات؛ ففي أول الرواية نجده تناول الجسد وتجلياته في ممارسة الجنس ولكن بأسلوب مكنى ومشفر، فكانت الممارسة الجنسية هنا بين جردين؛ يمارسان لحظات الجنون الجنسي بحيثياته وتفصيله أمام الأعين، على الرغم من أنه كان بالإمكان ممارسته في الخفاء. وما هذا إلا للدلالة على مجتمع آخر بشري يتصرف كالحوانات في ممارسة الجنس، وأن الرذائل أصبح يُجهر بها في المجتمعات التي تدعي التحفظ، حالها حال الإنسان البدائي الذي

يسعى وراء شهواته. فهي صورة استهزائية وتهكمية ساخرة من العربي المتعطش إلى الجنس، لدرجة أنه يتحّين الفرص لممارسته بشغف مهما كانت الظروف والأحوال، وكأنه يريد القول بأن الشعوب الغربية نحو تقدمها سائرة، والعرب إلى بدائياتهم مترجعون متجردين من كل ما يمت للتطور والرقي بصلة يقول:

« هههه رأيت يا سيرجون ؟ الشاشة رقم سبعة .

غفوت قليلا يا ماريشال

أنظر جيدا.

توقفت الصورة عند الجرذين اللذين ظهرا فجأة في الساحة الجنوبية للقلعة.

ربما جاعا وخرجا يبحثان عما يأكلانه.

أنت غبي. أنظر جيدا سيرجون .

وبدءا يتأملانها بالتصوير البطيء؟ رأهما يقتربان من جديد من بعضهما البعض. ثم فجأة أعطى الجرذ الضخم مؤخرته للثاني الذي تشمهما للحظات قبل أن يقفز على ظهره بخفة ورشاقة التصق به بقوة، ثم تشبث به أكثر لكي لا ينزلق، وبدأ يحرك جزءه الخلفي بسرعة جعلته يرتجف كأنه يحتضر، في غيبوبة تامة، استمر على هذه الوضعية لدقائق طويلة، ثم انتفضا كأنهما يزيلان غبارا التصق بهما، وعادا إلى جحريهما، منتشيين بما فعلاه»¹.

فلو تأملنا جيدا لوجدنا أن عدسة التقاط الصورة، مسلطة من الطابق السابع نحو سطح الرمل الذي يحمل ميزة الهشاشة وعدم الثبات، ومن السيد الحاكم والعالم بكل شيء، والذي يرمز للعربي بكل قوته وجبروته إلى الحيوانات وأي حيوانات، حيوانات قذرة مصيرها أن تدعس بالأقدام لأنها مصدر الإزعاج والتخريب. فهي نظرة تحمل من

¹ - واسينيبي الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، 2015، ص: 20، 21.

التصغير والاحتقار كثيرا، للعربي المتخلف حتى في الوضع الجنسي الذي يجب أن يكون فيه أكثر تحضرا، والغريب من ذلك كله أن هذه الصورة تم التقاطها من عمق قلعة عسكرية، تحوي قيادات عسكرية كبيرة مسؤولة عن مصير البلاد والوطن. فهو عمد إلى حصر الفئة التي هو بصدد السخرية منها يقول: «حتى الجرذ لم يفقد رغباته حتى وهو تحت المطر وبرد الخريف..» "الرواية، ص:21".

ومن المعروف أن الجرذ دائم الخوف والحذر على مصيره، إلا أنه ظهر هنا في حالة الاستهتار واللامبالاة حاله حال القادة العسكريين، ذو الأماكن الحساسة الذين يدعون أن لا مكان للعواطف في حياتهم، باعتبارهم نذروا قلوبهم لخدمة الأرض والوطن، ولكن أراد الكاتب أن يصور الواقع كما هو لا كما يدعون.

مرورا إلى صورة أخرى من صور التحرر الغربي، في العلاقة بين الرجل والمرأة، تحت ما يسمى "بمفهوم الحب" وهو مفهوم تغريبي متحلل، يطمح إلى فعل ما يحلو له في الشارع أو في الحافلة أو في الحديقة أو في أي مكان آخر، من غير أن يهتم بالرقابة الاجتماعية التي تقيده، وكيف أصبح الرجل ينظر إليها، وكيف تنظر هي للرجل، ذلك الغريب عنها والذي أصبح قريبا إليها أكثر حتى من أنفاسها.

يقول: «أمايا بنعومة وجهها الياباني الذي لم تخذشه الأيام أبدا، بل منحته كل ضوئها ونورها ... تأتيه الآن محملة بشوق ندي، كما في فترة لقاءها الأول.. يفاجئها من وراء ظهرها، يغمض عينيها ثم يهمس في أذنها اليسرى: من أنا؟ قولي أي اسم آخر إلا آدم هههه. تتحسس يديه، خاتمه الأزرق الذي أهدته له في عيد ميلاده. تتمتم طبعا أنت لست آدم، أنت حبيبي، تفتح عينيها وذراعيه، يقبلها تقبله. يغطي المطر شفاههما... ثم يضمها إليه، عصفورة من غيم وندى، يخاف أن تتلاشى، في انتظار وصول الحافلة الطلابية الصفراء تمضي الحافلة الأولى والثانية ولا يركبان. يتسلان في الشوارع وتحت البنايات العالية...» "الرواية، ص:43،44؛ من هنا يتضح لنا أن هذه الشخصيات تتطلق من

مفهوم الحرية الذي لا تحده حدود ساعين إلى تحقيقه، وذلك من خلال ممارسة طقوس الحب في الهواء الطلق أمام الملاء كما الطعام والشراب؛ نلمس ذلك في عدة مقاطع من الرواية منها:

«... يحلم أن ينام تحت الشمس بعين واحدة، يعبث بشعر حبيبته بلباسها، ويبعث قبلة بين نهديها، ويعبر بشرتها ووجهها...» "الرواية، ص:57".

«...قبلت يدها وتواعدنا أن نلتقي...» "الرواية، ص:41".

«...خذني اجري بي حيث تريد...» "الرواية، ص:70".

«...يركضان عاشقين في مهب الجنون...» "الرواية، ص:71".

«...حملها بين ذراعيه جرى بها قليلا وهرب بها نحو البحيرة...» "الرواية، ص:303".

«...تسحب منه في دلع أنثوي. يعيدها إلى صدره بكل رشاقة...» "الرواية، ص:71".

فهاجس الإنسان الغربي ليس الجنس في حد ذاته، وإنما تلك الطقوس التي تسبق عملية الجنس، والتي تحيلنا إلى أن الغربي تجاوز تلك الغرائز الهمجية، وأصبح عازفا محترفا على آلة طالما اعتادت أن تطربه، وهي مستسلمة لأنامله التي تحركها كيفما شاءت بل ومتفاعلة يقول: «..خرجت أمها من الغيبوبة والعملية بخسارات قليلة، وإعاقات محدودة، مشينا في الحديقة بلا كلام، ثم بكت طويلا على صدري... مسحت دمعها، كان وجهها ناعما كقطعة حرير، قالت: يمكنني أن أعود إلى غرفتي أنا بكل خير.

كانت أمطار الخريف قد بدأت. تأملتها. رأيت المطرية تفتتح ثم سيول المطر التي غطتها كليا عني. انتابني فرح غريب وسمعت هايدن يخرج من قلبي هذه المرة، لا أدري كيف صرخت أمايااااا، كأنها كانت تنتظر ذلك، رمت المطرية وركضنا باتجاه بعضنا،

غرقنا يومها في المطر وتحملنا ليلتها حرارة الحمام المشترك، والحمى الليلية...». "الرواية، ص: 141، 142".

نجد هنا سلط الضوء على الفتاة الغربية الجامعية تحديداً، التي يفترض أنها صفحة بيضاء يغزوها الحياء، لكنها تظهر في صورة الفتاة الطائشة المستهترّة التي لا تعرف عن العفة والشرف شيئاً، ولا تكثر للعذرية ولا تبالي بها على الإطلاق، حيث أنها تظهر في كامل حريتها التي لا تحدّها قيود وليس لها حدود فغاصت في الجنس والمجون، ولكن هذا مرده لا للحرية كما يدعون بل للتشتت الأسري السائد لدى الشعوب الغربية، وذلك للسعي وراء تحقيق الطموح والغايات والأهداف وجعل الاهتمام بالأسرة والأبناء في المرتبة الثانية، إذ ترك لهم الحبل على الغارب فاستغلوه بطرق ملتوية تحت أسماء عدة: كالخليل والصاحب والصديق والحبيب والرفيق..

مرورا بنا نحو صورة أخرى صارخة بالحرية، إذ تبدوا فيها المرأة الغربية على غير ما عهدناه وألفناه في مجتمعاتنا العربية، التي تكون فيها المرأة قابعة في المنزل تهب حياتها لأسرتها إذ نجدها تتصل بمن لا صلة لها به، يقول: «...ساعدها. نزع لباسها. قطعة قطعة، بنعومة وهي مستسلمة له كصبيّة صغيرة، كان جسدها مرتسماً بكل تفاصيله. شعر برعشة جسدها، التفتت نحوه، وأنت أيضاً غرقت في نفس الماء، ثم بدأت تنزع ألبسته قطعة قطعة وتضحك، وضعك ليس أحسن مني، عرته على آخره، تلمس وجهها. شفيتها. نهديها النافرين كأنهما نهذا مراهقة، انتبها إلى الألبسة كانت كلها على الكرسي الحديدي، كونت تحتها بركة من الماء، ضمّني حبيبي، بردانة، غطيني بذراعيك، قلبك، لمسك، همسك، لا أريد أن أستيقظ من هذه الغفوة دخلاً تحت الفراش الدافئ، ضمها نحوه أكثر، اندفعت بكلها التصقت به... امتصت لسانه ثم انحدرت عبر كل جسده، تلوت أكثر ثم غابا طويلاً على متن موجة عالية كانت تعلو وتنزل، وتعبث بهما كما تشتهي...». "الرواية، ص: 230، 231".

مرورا إلى صورة أخرى للجنس والعبث بين "آدم" العالم العربي المتخصص في النووي، والسويدية "إيفا" العاملة في "ليدرافيك" منظمة الدفاع عن الأجناس الآيلة للزوال، فعلى الرغم من أن لكل منهما حياته الخاصة سعيا للعبث بكل جرأة وأريحية، فهو هنا سلط الضوء على صورة في غاية الدقة، وهي أن هذه المرأة الأجنبية رغم كونها متزوجة من رجل ذو مكانة مهمة ويعمل مسؤول حسابات في القصر الملكي وأم لطفلين، ورغم كل هذه الحظوة إلا أنها رمتها وراء ظهرها لأجل لحظة جنونية مع رجل عربي من أرابيا البائسة، سجين في قلعة عسكرية معزولة شديدة الحذر والمراقبة والحب فيها ممنوع، لكنها سعت للوصول إلى أعماق هذا الأسر وسلمت له نفسها بكل أريحية وجنون.

فهذه العبارة يمكن النظر إليها من جهة أخرى أنها شهادة حية على تميز العرب والرجل العربي تحديدا، حيث جاءت هذه المغامرة الجنسية كدليل عليه، إذ رمت هذه المرأة الغربية كل غال ونفيس من أجل لحظة جنون مع العربي، فيمكن أن نعتبرها ضربة للأجنبي في الصميم وفي عقر داره، إلا أننا نجده لم يكثرث للشرف ولا للعفة، ولم يحس بالخزي ولا العار، وكأن الشرف شعار يقتصر على العربي دون غيره..

حيث يواصل الكاتب حديثه قائلا: « تمددت على صدره ودفنت رأسها فيه، ابسم ابتسمت وهي تقبله

الفراولة.

كنت متأكدة من أنك ستقولها.

اسحبني الغطاء وادخلي

سحبت الغطاء ودخلت

شمها كما يشم فاكهة حقيقية، مد يده نحو نهديها، شعر بشيء يتدفق منها نحو

سرتها، ثم نزع لباسها الداخلي

مجنووون ماذا تفعل

أفطر جوعي إليك كبير

مجنون تشعلني، دعني أنبت في صدرك

صعدت شدها من على خصرها، شعرت بقوته وذكورته وكل شيء فيها يناديه...».

"الرواية، ص:237".

فعندما نمعن النظر في هذه العلاقة الصارخة بالعهر بين "آدم" و "إيفا"، اللذان يمثلان أبوي البشرية، **فايفا** هو اسم أمنا **حواء** في الثقافة الغربية "eve"، فهي حملت رمز للسلوك المشين والخيانة والعهر والفحش، وكأنه يريد أن يقول بأن العهر الشائع في العالم بأسره مرده إلى الإرث الموروث عن **آدم وحواء**، وما هم إلا على نهج الآباء سائرون وكأن التاريخ يعيد نفسه مع نسلهم ولكل خطيئته وغوايته، ولكن العجيب من ذلك كونه ربط "إيفا" التي هي دلالة على حواء بالأجنبية بالغواية والحرية، وربط "حواء" التي تعني أم البشرية بالعربية بالسلحفاة التي ترمز للصبر والجلاد يقول: « وسلحفاة ضائعة في مساحة مليئة باللاجدوى، وضعتها في يده **إيفا** لأنها عرفت بحاسة الأنثى الحية أنه كان يحبها. سماها حواء قبل أن يدخلها إلى بيته. لم تمنع...». "الرواية، ص:95؛ إنه لمن الغريب أن تضع إيفا حواء في يد آدم، وكأنه بهذه السلحفاة التي وضعت بين يدي آدم إشارة إلى المرأة العربية، التي هي جملة من الغرائز الخالية من الوعي والتفكير والعقلانية، وأن تركيبتها هي التي تسيروها نحو الغرائز والشهوات البعيدة عن العقل، وقد تكون إشارة إلى المرأة العربية التي يرى أنها تعيش كالحيوان مسلوقة القوة والإرادة، يقول: «..فاجأته حواء بأن نقرت برأسها حذاءه الخفيف. كانت كعادتها تحتل المربع الإسمنتي البارد،... ثم ركزت نظرها فيه كأنها تلومه على نسيانه لها كليا. اطمأنت. ثم أغمضت عينيها لتتأم في يده بلا مقاومة..». "الرواية، ص:87".

فهي هنا صورة ساخرة عن حال وأوضاع المرأة العربية الراضخة لسلطة الرجل، وامتلاكه لها بطريقة حقرتها وقللت من قيمتها كأنثى، وجعلتها تبدو مهانة محقرة ذليلة ورغم كل هذا راضية مستسلمة، متوسلة منه لحظة راحة ودفء، فبين إيفا وحواء بعد شاسع بعد السماء عن الأرض، إذ أخذت الأولى الغواية والأنوثة الصارخة والحرية المستفيضة، أما الثانية فكانت رمزا للمقاومة والصبر والجلاد وملازمة العناء رغم كونهما انحدرتا من أصل واحد ولكن كل واحدة من نبع ديانتها اغترفت وارتوت.

كما أنه بتبنيه هذا لقضية اللذة الجنسية، التي تكون في العلاقات المحرمة، وتنعدم في العلاقات المحللة، وكأنه يتساءل عن سبب المتعة المحرمة؟ لأن هذه المرأة متزوجة ولها أن تفرغ كل نزواتها في إطار الشرع والحلال، إلا أنها فرت لأحضان رجل غريب عنها، أم هي إشارة للمرأة الغربية الخائنة التي لا تعرف العفة والوفاء، ولا تعرف ما معنى كلمة شرف في مجتمع خال من كل ما يمت للأخلاق بصلة، ويسعى وراء أطماعه ولا يكثرث بالأخلاق؟

حب في وضح النهار وفي عمق الليل، هكذا في بلادهم إذ لا نجد في كل هذه الممارسات الجنسية اللاأخلاقية الخاصة بالزانيات والعاهرات والفاجرات السائدة عند الغرب، لا يتبعها شعور بالعار أو الخزي، لأنه تم خرق المحرم تحت أشكال الدعارة المستترة، وراء أسماء عديدة كالصداقة وأخلاق المعاصرة، ليدير مع هذه اللقاءات، التي فجرت في أعماق الشخصيات قوى شيطانية جنسية، ليمر إلى الرائحة التي هي من الشيمات الجنسية إذ نجده يقول: «...شم عطرها الذي بطعم الفراولة...». الرواية، ص:210.

«...عطرها ينفذ من بعيد...». الرواية، ص:225.

«...أحب عرقك لأنه من جسدك لحظة تجليه...». الرواية، ص:88.

مرورا بنا من الجنس إلى الألفاظ المبتذلة "الساقطة" التي تعد من المحظورات الاجتماعية، والتي نجدها واردة بكثرة، والغريب أنها وردت على ألسنة الفئة الحاكمة التي تمثل المجتمعات. ويمكن رصد أهمها وأشدها قبحا وإسفاقا يقول: «...يلعن طيز أمك...» " الرواية، ص: 390.

«أبناء القحبات». " الرواية، ص: 259.

« قحبات .» "الرواية، ص: 261.

« ياقحبة الماريكان ». "الرواية، ص: 320.

« سنحشوها لك في مؤخرتك ». " الرواية، ص: 425.

فورود هذه الألفاظ البذيئة لم يكن حشوا، فوجدوها في الرواية دليل على وجودها في الواقع وبكثرة، ولكن من المتعارف عليه أنها ترتبط غالبا بأبناء الشوارع والجهلة والمنحرفين¹، ولكن ورودها على ألسنة شخصيات مثقفة وواعية من غير نقدها، يكسبها شرعيتها ويبين مدى تأزم الأوضاع، لأن البذاءة والإسفاف تربعت على كراسي العرش والتسيير والسلطان، وإذا كانت الأقوال بهذا الانحطاط فكيف للأفعال؟ و لكن الغريب هنا والذي يفرض نفسه للطرح: هل هذا دلالة على وصول أبناء الشوارع والمنحطين للحكم؟ أم ماذا يا ترى؟

فمن هذه الصور الجنسية والشخصيات المنحرفة تحت شعار الحرية، والتي تجاوزتها إلى الوقاحة الأخلاقية والفحش والفجور والزنا والعهر المستتر، تحت ما يسمى بالصدقة أو الدعارة المستترة، التي أصبحت شعار العصرية والتقدم، نجد فارقا كبيرا بين المرأة الغربية التي تدّعي التحرر، والمرأة العربية التي مازالت مقيدة بالمواضعات الدينية،

¹ - أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية الغربية روايات حيدر نمونجا دراسة تطبيقية، ط1، مدرسة النقد المعاصر، كلية الآداب، جامعة حلب، سوريا، عالم الكتب الحديث، 2011، ص: 274.

والاجتماعية، والعرقية وأشكال الرقابة التي تقف في وجه الانحرافات التي قد تتسلل إليها وتجعلها تتلبس بالمدنس.

المرأة وطموحاتها:

تعتبر المرأة الغربية نموذجاً حياً عن المرأة المثابرة، والمرأة المثقفة المتعلمة ذات شخصية مستقلة، فهي لم تترك بصمتها في مجال الجنس فقط، بل في مجالات عدة من الحياة، فقد كانت رمزا للقوة والتحدي والسعي نحو تحقيق طموحها وإثبات نفسها، خاصة في المجال العلمي والمهني...

حيث نجد الرواية تكثر فيها شخصيات نسوية تركت بصمة لا يستهان بها في المجال العلمي والسياسي والاقتصادي، ومن أمثلة ذلك "إيفا" وصديقتها "دريمز" و"ميري" المكافحتين في رابطة الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة للزوال "ينظر، ص:33".

فمن الصعب أن نجد امرأة تدافع عن شعوب أفنت نفسها بنفسها، مثل الحيوانات المنقرضة وتخوض في الصحاري، وتغامر بنفسها من أجل أشخاص لا تعرف عنهم شيئاً، إلا أنهم بائسون لا مأوى ولا مأكلاً ولا مشرباً لهم فبادرت بمساعدتهم، إضافة إلى كونها مدافعة عن آدم الذي سجن في قلعة أميرويا، لأن أمريكا كانت ترى في حريته تهاون وتلاعب في حسم أمر السلاح النووي، فعمدت إلى خطة مدروسة وشديدة الإحكام، وقامت بعزله وسجنه، ولم يجد من يرفع عنه هذا الظلم والحيث، إلا إيفا التي دافعت عنه باستماتة ومكنته من استرجاع حقوقه، وأن يعيش كإنسان له حقوقه لا كسجين "ينظر، الرواية، ص: 52، 37، 53".

كما نجدها أيضاً من سعى لرفع الظلم والبهتان المتمثل في المتاجرة بأعضاء الأرابيين، وتقديم شكوى رسمية للوقوف في وجه الظلم والحيث "ينظر، الرواية، ص: 366".

مرورا إلى شخصية "أمايا" اليابانية التي كانت ذات طموح كبير، والتي استطاعت بتخصصها أن تقف في وجه أسلحة الدمار الشامل، وتخصصت هي بدورها في الطب النووي، وجعلت من حادثة هيروشيما وإصابة جدها "تسوتومو ياماغاشي" محفزا لها لتقف في وجه كل معتد على البشرية والأبرياء، لدرجة أنها تصف زوجها آدم وكل متخصص في الأسلحة بأنه صانع الجريمة بامتياز، وأنها ترى بأن الإنسانية عندما تتسلح تخسر أخلاقها حيث تقول: «...ليكن العالم هكذا، غلط في غلط، أنتم تحرقون الحياة ونحن نعيد زرعها إلى أن تملوا أبدا، شعاري السلحفاة تطردونها تسكن بيتها، تطلقون عليها السموم. تتخفى إلى أن تعبر، تفجرون الأماكن تقاوم لا تستسلم لأي موت...» "الرواية، ص: 44". فكانت كثيرا ما تتحاور مع آدم وهي غاضبة منه ومن تخصصه، وتصفه بأنه صانع الجريمة بامتياز، تقول: «...الطب النووي وعلاج الإشعاعات النووية، ماذا أفعل غير إنقاذ بشر تقتلهم أنت...». "الرواية، ص: 84؛ فهي لم تكن يوما فخورة أن زوجها عالم كبير فكل ما رأيته فيه أنه صانع جريمة، ولأجل طموحها وقفت في الاتجاه المعاكس.

إضافة إلى هذا الدور البطولي والطموح الذي لعبته المرأة الغربية، نجدها باحثة في علوم الطبيعة؛ وذلك من خلال شخصية "سوزان كليبر"، الناشطة في جمعيات المحافظة على البيئة "ينظر، الرواية، ص: 172". الناقمة على جشع الشركات النفطية التي مزقت التربة المتبقية ولوثتها، والتي سعت كثيرا مع جماعة الأنثروبولوجيين إلى إيقاف المنجز النووي الذي اخترعه العربي آدم غريب وتبنته أمريكا، أو تأجيله على الأقل لكي لا يتأزم الوضع أكثر، وهي من أجل طموحها دفعت حياتها ثمنا " ينظر، الرواية، ص: 174، 420".

بالإضافة إلى شخصيات نسائية أخرى سعت وراء طموحاتها وأهدافها بكل قوة وعزيمة ومن بينهن: لورا زوجة العالم النووي سميث معلمة، ويونا ابنة آدم صحفية متخصصة

في السينما والتلفزيون، وغريزيرلدا صبادو من البحرية، تشتغل في القضايا الأمنية الحساسة، وتالا التي أفنت شبابها في المخبزة التي تعيل بها قريتها، " ينظر، الرواية، ص: 212، 16، 247، 312". وكذا كتاريننا العاملة كمضيعة في القلعة وغيرها من العاملات في القلعة..

فالمراة الغربية نجدها واقفة صامدة ساعية نحو طموحاتها، ولم تترك فرصة للعقبات أن تقف في وجهها وتعرض طريقها، وأثبتت أنها أهل لتحمل المسؤولية مثلها مثل شقيقها الرجل، إلا أنها تتفوق عليه بعاطفتها، التي جعلتها تخوض في المهالك وتحمل الصعاب، متتبعة نبضات قلب أنثوي بريء لا يمكنه أن يبني سعادته على دهس أرواح بريئة، وجعلت من قلبها منبعاً للإنسانية جمعاء، عكس المراة العربية التي جعلت عواطفها حبيسة قفصها العائلي، والديني والثقافي والاجتماعي.

3- الشذوذ الجنسي وتجلياته:

تعد المرأة العنصر الحيوي والقلب النابض للجنس بكل حالاته وتجلياته، إلا أننا الآن نقف أمام نوع آخر من الجنس، تكون فيه المرأة غائبة تماماً أو لها حضور لا يكاد يذكر ويكون الرجل المحرك لكل حيثياته. وأول هذه الشخصيات شخصية "المَجْبُوب"، والتي من أهم معانيها بحسب معجم مصطلحات الفقه المالكي: جَبَّ، يَجُبُّ، أَجَبْتُ، وَجَبَّ، جُبًّا، وَجَبَابًا، فهو جَابٌ، والمفعول مَجْبُوبٌ. وَجَبَّ النَّخْلُ، قطعه، وقيل أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، أي يمحي ما قبله. والمَجْبُوبُ: هو مقطوع الذَّكَرِ من أصله¹، وهذه صفة نجدها لصيقة بالماريشال "ليتل بروز" مسؤول قلعة أميروبا المتواجدة في صحراء الربع الخالي، حيث أصيب في حرب الرمادي وتسببت هذه الإصابة ببتير أعضائه، المثلثة في؛ الرجل والذراع والعضو الذكري والخصيتين حيث تقول الرواية: «...أصيب بحروق من الدرجة الثالثة في كامل جسده، وانتهى الأمر ببتير يده اليسرى ورجله اليمنى، بقي على إثرها في

¹ - عبد الله معمر، تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007،

ألمانيا مدة زمنية حتى تم خلالها تعويض العديد من أجزائه بأعضاء اصطناعية، بما في ذلك عضوه التناسلي...»؛ "الرواية، ص: 21، 22".

فهو عرض لنا صورة لشخص شارك في الحرب، فعوض أن يخرج منها بالنصر والبطولة خرج منها مبتور الأعضاء، فكانت هذه الحرب نقمة عليه ونعمة في نفس الوقت، بتقلده أعلى المناصب في الحكم، إذ حرّمته من أن يكون أميرا على قلب امرأة، لتجعله أميرا على قلب كل النساء، وذلك بزواجه من الوطن عوض المرأة الواحدة...

يحيلنا هنا إلى سيل من الرؤساء الذين توصلوا إلى الحكم بفضل إصاباتهم، رغم كونهم ليسوا أهلا لمثل هذه المناصب، لأنهم يعانون من خواء فكري وعاطفي لدرجة أن الفراغ يكاد يقتلهم، ينشغلون بأمور لا نجد لها وجودا في عقل الشخص السوي، يقول: في مذكراته بأن العرق الذي يتصبب منه ليس عرق الحروب، وإنما هو عرق الحاجات البيولوجية التي يعتبرها تافهة، ومضيعة للوقت إذ أجرى لهذه العملية البيولوجية حسابات دقيقة ووجد أن الإنسان يمضي 450 ساعة في السنة وهو جالس على قصعة المرحاض..؛ ينظر، الرواية، ص: 28". ليعود مؤكدا أنه خارج عن الحسابات البيولوجية، يقول: «تركيب الذكر الاصطناعي للتبول وحده يقتضي مني ساعات من العرق البارد والتعب والخوف من الانسدادات غير المحسوبة..»؛ "الرواية، ص: 28".

لينتقل إلى وصف آخر...كان احتقان البول في مثانته قد آلمه كثيرا، فقد اضطر في الأيام الأخيرة بسبب العواصف الرملية، التي لا يمكن تفادي دخولها من فجوات النوافذ غير المرئية، ومن جهاز التبريد والتسخين إلى نزع عضوه الاصطناعي العديد من المرات، والنفخ فيه بفمه حتى يزيل ما علق به من حصى سد المجرى..»؛ "الرواية، ص: 29".

فالكاتب هنا غاص في وصف العملية البيولوجية والتركيز على الأعضاء الجنسية التي كثيرا ما اعتاد المؤلفين على توظيفها في العلاقات الحميمة، ولكن واسيني الأعرج

وظفها وهي متأذية مبتورة معوضة بأخرى اصطناعية، فعوض أن تساعد زادت من عذابه، إضافة أن انعدام العضو الذكري، يعني انقطاع النسل، وهو رمز للغرب ونسله المنقطع والعضو المزروع للدلالة على أن أمريكا تعتمد إلى تعويض عجزها بنجباء غيرها..

ومن ذلك قوله: «...إذ أن العضو الذي زرع له في المرة الأولى ظل لحمة ميتة، متدلية لا تصلح لأي شيء...». "الرواية، ص:30"، فتركيز الكاتب على عملية البتر وكذا عملية الزرع ليس مفادها إظهار الأزمة البيولوجية التي يعاني منها هذا القائد الغربي "ليتل بروز"، إنما يرمي إلى بعد أكثر أهمية مفاده أنه لن يجد من سيخلد اسمه بعده بانقطاع نسله، وذلك لكونه أصبح "مَجْبُوبًا"، أما عملية الزرع فهي للإحالة إلى تلك العناصر التي تنتقيها أمريكا لتزرعها على أرضها، ولولا القوة لما رضخت وحتى رغم بقائها في أراضيها يبقى القلب معلقا بأوطانهم ومسقط رؤوسهم، مثل العضو المزروع له الذي ظل نافرا من جسده ولم يتجاوب معه...

مرورا إلى صورة أخرى من الشذوذ والانحراف إذ نجده يقول: «...سمع بعض حماقات مرافقيه من العسكر، أعجبه تعليق أحدهم، لدرجة أن ضحك في أعماقه، كان سكرانا فرائحة الكحول سدت أنفه، قال: موجهها كلاما لامرأة كانت في رأسه: في المرة القادمة، أريدك أن تصرخي باسمي لا باسم الله لحظة التجلي الجسدي، لا علاقة لله في شهقة الذروة، ثم قهقه وهو يحاول أن يقوم وينماسك: لولا خوفي من ضابط القلعة الزبالة. ومن الماريشال. كنت اغتصبت هذا العربي الجميل الذي يبدو مهما. وشبعت منه في كل الوضعيات. جاذبيته لا تقاوم، ورائحة عرقه مغرية...». "الرواية، ص:107".

فهي صورة حية عن أعضاء المجتمع الغربي، رغم اشتغالهم في مكان حساس وغاية في الأهمية، وكونهم في منطقة غاية في الخطورة "الطائرة"، إلا أنه يظهر وهو غائب عن الوعي، وغياب العقل والوعي في أوقات حرجة كهذه، من المفروض أن يكون فيها المرء

في كامل وعيه ونشاطه، فهو يؤكد لنا أن الأجهزة الأمنية عمياء بالكحول التي مع قوتها وجبروتها زادتها عماً على عمى، على الرغم أن العقل يقول أن الحكم للحكيم واللبيب العاقل، ولكن يظهر لنا أن الأمور تسير في الاتجاه العكسي..

إضافة إلى أنه من تمرده وتصرفاته المشينة، تمرد حتى في ممارسة الجنس وأتى بطرق جنسية، ستتزل سخط الله عليهم وغضبه لأنه بلغ الذروة في كفره وفجوره، وذلك من خلال الممارسات الجنسية "المثلية" أي اغتصاب شخص من جنسه، وهذه الظاهرة تذكرنا بفجور قوم "سينا لوط عليه السلام"، الذي شاع فيه الشذوذ الجنسي "اللوواط" إذ كانوا يأتون الرجال على النساء، فكانت عاقبتهم أن جعل الله عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل لأنهم أتوا بأعظم الفواحش وأكثرها مخالفة للفطرة البشرية¹، والتي عادت الآن وبأشكال أكثر فظاعة من ذي قبل وهي ظاهرة متكررة في الرواية، إذ نجدها في موضع آخر ومع شخص عربي وهو الأمير ميدو «...في إحدى المرات أهانه أحد... بأن سماه الشرموطة التي تنام مع من يدفع أكثر». "الرواية، ص: 270".

فهذه العبارة حمالة أوجه فقد يقصد بها بأنه "لواطى"، وأنه يمارس هذا الفعل مع من يدفع له أكثر وأن العرب على نهج الغرب في القذارة سائرون، وأنهم لم يتجنبوا ما حرمه الله ونهى عنه، وإنما خاضوا فيه دون الخوف من غضب الله تعالى، وهم العالمون بأحوال سابقهم من الكفرة، وقد ننظر لهذا من زاوية أخرى أنه خائن ومستعد أن يبيع وطنه لمن يدفع له أكثر، وقد تكون إشارة إلى أن الأمة العربية بأنها أنجبت من ينهش لحمها ويسلم رقبتها للدخيل بأبخس الأثمان، والعجيب أن يكون الخائن له شعبية كبيرة ومحبوب لدى الجماهير، ومتربع على القلوب قبل العرش..

كما نجد ظاهرة أخرى تمس بالمحظور ويتمثل في لقاء يحمل كل صفات العربي وانكشاف الجسد «...أدخل في صالة كبيرة ساخنة، نزع عنه غطاء العينين فوجد نفسه

¹ - fatwa.islamweb.net.

عاريا وجها لوجه أمام امرأة تغطي كفيها بقفازين بلاستيكيين... اقتربت منه دون أن تكلمه، وطلت جسده بمحلول أصفر، ثم أحمر يشبه المطهرات التي تسبق العمليات الجراحية، وحكت كل جسده... ثم غسلت كل أجزائه حتى الحميمي منها بالماء والصابون». "الرواية، ص: 107".

فالكاتب أورد صورة مقترنة بجغرافية الجسد وتضاريس عريه، لكنه خال من كل ما يمت للجنس بصلة، وكأنه يريد أن يقول أن هذا الشخص الذي وجد نفسه عاريا وجها لوجه مع امرأة تغسل كل أطرافه بما في ذلك الحميمي، ولا هو متأثر بتلك اليد التي تلامس جسده، ولا هي متأثرة بهذا الجسد العاري المائل أمام عينيها وبين يديها، وكأنه ميت بين يدي من يغسله، ومن هنا نستشف أن العري الذي لا يتذرع بالرغبة والشحنات العاطفية المتبادلة بين الطرفين لا يكون مؤداه إلى الجنس، حاله حال تلك اللقاءات والمعاينات الطبية التي تحدث بين المريض والطبيب، سواء في حالة الكشف والمعاينة الطبية، أو إجراء العملية، فكل من الطبيب والمريض يكون تركيزه على الهدف فقط دون الاكتراث للجسد وتفاصيل العري، وأن الإنسان ليس كتلة من الجنس متحركة بقدر ما هو جسد.

ورد الغرب في هذه الرواية بأنه مستودع للمعرفة، عنوانه الجامعة والحرية، ومكانا للإشباع الجنسي، أدواته المرأة المتحررة التي لعبت على وترين؛ وتر العلم والمعرفة والمثابرة في اختراق الصعاب من أجل تحقيق طموحها على المستويين العلمي والمهني، ووتر الجنس والعبث والاستهتار بالأخلاق والشرف والعفة، والتفكك الأسري والسعي نحو شهواتها وملذاتها تحت ما يعرف بالصدقة، على عكس العربية التي وردت في صورة المقيدة بالمواضعات الدينية والاجتماعية التي لغيت أنوثتها وغوايتها، وأصبحت قابضة في المنزل راضخة مستكينة مستسلمة لوضعها ولاستعبادها وأسرها.



خاتمة



خاتمة

نخلص في خاتمة هذا البحث إلى أهم النتائج المرجوة من هذه الدراسة، والتي تهدف إلى كشف المسكوت عنه وكشف محطاته في المتن الروائي "الحكاية العربي الأخير" التي كانت نموذجا جماليا فنيا للرواية الجزائرية الصارخة بترميز كبير وتصوير عجيب للوقائع، بلغة بالغة الجرأة في الطرح، واقتحام الممنوع وكسر التابوهات و تحطيمها، إذ تناولت قضايا الدين والجنس والسياسة، وخاضت في الأمور المسكوت عنها، كما أنها أبرزت لنا أيديولوجية مؤلفها المنافية لكل فكر ديني، وكونه منتصرا للعلمانية، مازجا لغته بين الشعرية وبين العامية والفرنسية بين الفينة والأخرى، في تصويره للصراع العالمي والمآل العربي الذي سيؤول إليه، إن بقي يسير على نفس الوتيرة، وذلك من خلال كشف جميع جوانب هذا الصراع الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والتاريخية. ومن خلال دراستنا وتحليلنا لأهم العناصر المكونة للمتن الروائي، قصد الإحاطة بكيفية توظيف المسكوت عنه في الرواية، وكذا معرفة دور كل عنصر في إقناع القارئ بأفكار الرواية الظاهرة والمضمرة، خلصت دراستنا إلى جملة من النتائج والاستخلاصات أهمها:

✓ أن السارد عمد للاستعانة بمجموعة من الأنساق من أجل تمرير قناعاته التي يؤمن بها، كما أنه انتصر للغربي "الأمريكي" من خلال تصويره في أرقى مراتب التحضر والمدنية، إذ جعل من الغرب دولة، سعي وقوة، وقانون، ورحمة، وعمد إلى الإنقاص من قيمة العرب، حيث جعل منهم مجرد شعوب متهاكة ومنقرضة ترعاهم منظمة الأجناس الآيلة للزوال الغربية.

✓ الانتصار للشخصية الغربية التي صورتها الرواية في أرقى مراتب التحضر، والرقى والسعي من أجل تطوير بلادها مهما كلفها الثمن، في الوقت الذي صورت فيه الشخصية العربية في أبشع صور التخلف والوحشية والعنف واللاعقل، والتي تسعى لتدمير نفسها بنفسها، والتي أصبحت تموت جوعا وبلادهم تلد الخير والحياة كل صباح، وكونهم يعيشون

خاتمة

في الظلام وسماءهم تتلألأ بالنور، والذين يموتون من العطش وبلادهم تشتكي من سيول الفيضانات.

✓ تحوير الآيات بحيث تبتعد عن معناها وجعلها مناقضة للخطاب الإلهي، وبطريقة تخالف المفهوم الذي جاءت من أجله، كما تمس في بعض الأحيان المقدسات والرموز الدينية.

✓ محاولة البحث عن مفهوم جديد لله والانتصار للديانات اليهودية على حساب الديانات السماوية التي ألبسها عباءة الدماء والقتل والإبادة.

✓ أن العلاقة بين السلطة السياسية والمثقف في الغالب هي علاقة تقاطب وتنافر، وذلك من خلال ممارستها لإستراتيجية المغالطة ضد كل خطاب تنويري تجديدي، وذلك من خلال قمع النخب المثقفة ومصادرة مؤلفاتها، وإضفاء الشرعية على هذه الممارسات القمعية، بحجة الحفاظ على وحدة الأمة، أو حماية التراث الإسلامي من البدع والتشويهات أو الدفاع عن العقيدة.

✓ أن الكلام فيما هو صريح وما هو خفي، يفهم معناه من خلال قرائن دالة عليه. وأن تمتع المتلقي بالكفاءة اللازمة أمر ضروري، ليتمكن من الكشف عن المسكوت عنه، وليفهم المعنى الخفي.

✓ مسألة ترجمة المسكوت عنه هي مسألة نسبية.

✓ لقد حمل الكاتب على عاتقه مهمة حكي الممنوع وكتابته، وكان الهدف من وراء ذلك هو نقد المجتمع وكشف الزيف الذي يغمره، دون أن يتحاشى المخطئ مهما كانت مكانته أو دوره في المجتمع، بطريقة لا نلمسها في كتابات غيره.

✓ كان هدفه من الخوض في الممنوع والمسكوت عنه، الخروج من التناقض الصارخ الذي يعيشه المجتمع، والتخلص من التراكمات العرفية التي تأصلت وتجذرت في معتقدات الناس.

خاتمة

✓ أنه سعى إلى تقديم الجنس بوصفه شكلا من أشكال الحرية والعَصْرَنَة، وأنه ضرورة لازمة وقضية لا بد من الاعتراف بها وتأييدها.

✓ أن المجتمع العربي يقدس الثالث علنا، ويدنسه وينتهكه سرا.

✓ أن الجرح الذاتي والمعنوي ولدا لدى الكاتب جرحا لغويا، مكنه من أن يحلل القضايا المصيرية أدبا ساميا محملا بالرسائل المشفرة، التي تعكس الأوضاع المزرية السائدة منذ زمن، والتي أفرغت الوطن من مادته الرمادية الفعالة.

وفي الأخير لا يسعنا القول إلا أن رواية "حكاية العربي الأخير 2084" تصب في قضية واحدة، وهي التحرر من القيود الاجتماعية، والسياسية، والدينية، التي جعلت العربي يسير نحو الهاوية والزوال والانقراض، ومن كل متسلط مهما كانت مكانته، والتي كبجها عن الكتابة بحرية في القضايا المسكوت عنها، أو ما يعرف بالثالث المحرم، أو المحكي والممنوع. ويبقى هذا البحث مجرد محاولة في استقراء أهم المضمرات في الرواية، كما تعترى البحث مجموعة من النقائص والثغرات لا بد من استدراكها والاستفادة منها، وإن وفقت فمن الله، وإن أخطأت فمن الشيطان.

-والله ولي التوفيق-



ملحق



نبذة عن حياة الروائي:

واسيني الأعرج: كاتب وأديب جزائري من مواليد 1954م بقرية سيدي بوجنان إحدى ضواحي مدينة تلمسان، تلقى تعليمه الأول في الجزائر، ونال الدكتوراه من جامعة دمشق، بدأت تجربته الأولى مع الحياة العملية إذ عمل صحفياً ومحرراً ومترجماً للمقالات في الفترة التي كان يدرس في الجامعة الجزائرية، ونال الدكتوراه من جامعة دمشق سنة 1985م¹، ثم عاد إلى الجزائر والتحق بجامعة الجزائر المركزية كأستاذ للمناهج والأدب وفيها عايش كل سنوات الإرهاب الذي بلغ حده الأقصى في السنوات الأولى من التسعينات في بلده، رغم وجود اسمه في القائمة السوداء، ليغادرها عام 1994م، باتجاه باريس بدعوة من المدرسة العليا للأساتذة وجامعة السربون²، ويشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسربون في باريس، يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي المنفتحة على أفق إبداعي إنساني، تنتمي أعماله الروائية إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد، بل تبحث دائماً عن سبلها التعبيرية بالعمل الجاد وهز يقينياتها .

جوائز:

حصل على عدة جوائز تقديراً لأعماله الإبداعية نذكر منها:

*الجائزة التقديرية من رئيس الجمهورية سنة 1989م

*جائزة الرواية الجزائرية، على "شرفات بحر الشمال" ومجمل أعماله الروائية سنة 2001م.

*اختير سنة 2005م كواحد من خمسة روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث روائياً، في إطار جائزة قطر العالمية للرواية على "شرفات بحر الشمال"

*جائزة المكتبيين على رواية "الأمير" سنة 2006م.

¹ - ينظر، واسيني الأعرج، جملكية آرابيا، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، 2011م، ص: 4.

² - نهر الشخصيات العامة، قسم خاص بالسيرة الذاتية لأهم شخصيات العالم، تاريخ النشر: 14-07-2011م.

*وعلى جائزة الشيخ زايد الكبرى للآداب سنة 2007م.

*وعلى جائزة الكتاب الذهبي على رواية " كريماتوريوم " سوناتا لأشباح القدس، في المعرض الدولي للكتاب سنة 2008م.¹.....الخ

من إصداراته في الرواية:

لم يتوقف عن الكتابة منذ نصه الأول: البوابة الزرقاء" وقائع من رجل غامر صوب البحر " الذي نشر لأول مرة في دمشق سنة 1981م، والذي تلاه وابل من الأعمال الإبداعية:

*طوق الياسمين " وقع الأحذية الخمسة" سنة 1981م.

*ما تبقى من سيرة لخضر حمروش سنة 1982م.

*نوار اللوز سنة 1983م

*مصرع أحلام مريم الوديعة سنة 1984م

*ضمير الغائب سنة 1990م.

*الليلة السابعة بعد الألف سنة 1993م.

*سيدة المقام سنة 1995م.

*حارسة الضلال سنة 1996م.

*ذاكرة الماء سنة 1997م.

*ذاكرة الماء سنة 1997م.

*مرايا ضيرير سنة 1998م.

*شرفات بحر الشمال سنة 2001م.

*مضيق المعطوبين سنة 2005م.

¹ - ينظر، كمال الرياحي، هكذا تحدث واسيني الأعرج، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ص: 8.

*كتاب الأمير سنة 2005م.

* أنثى السراب سنة 2009م.

*رواية بيت الأندلس سنة 2010م. "1"

*جملكية آرابيا سنة 2012م.

*حكاية العربي الأخير 2084 سنة 2015م.

*نساء كازانوف سنة 2017م.

كما صدرت له أعمال قصصية وبحوث نقدية كثيرة، ولكنه تفرغ منذ سنوات للتدريس الجامعي والإبداع الروائي...، وقد ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها: الفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والسويدية، والإنجليزية، والإسبانية، والعبرية..... الخ .

1- ينظر ، واسيني الأعرج، جملكية آرابيا، ص:4.

ملخص الرواية

صدرت رواية حكاية العربي الأخير للكاتب الجزائري واسيني الأعرج، بعد فترة من ظهور وابل من أعماله الروائية الناجحة التي جعلته من أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي، كما أن هذه الرواية تتكون من ثمانية فصول هي:

رماد على حواف الغياب، ايفا تفتح النوافذ المغلقة، كواليس أمايا الثقيلة،

رآها إذا تراءت له، من ليس منا فهو ضدنا، العقرب تشتغل في الرمل،

الخطأ مهد الكارثة، ايفا تغرس حلما في قلبه.

بطلها آدم غريب عالم عربي، ينحدر من صحراء أرابيا التي أصبح أهلها يتقاتلون على الماء والكلاء، والمتحولة من مد الخير إلى الموت. درس في أمريكا بفضل المنحة الدراسية، وهناك تزوج من أمايا اليابانية المتأثرة بالدمار الذي حل ببلادها وبما تعرض له جدها "سوتومو ياماغاشي" جراء انفجار قنبلة هيروشيما، والمتخصصة في حروق الإشعاعات النووية عكس آدم الذي تخصص في الأبحاث النووية لحماية النفس وردع الظالم.

عاش آدم بين المخبر وعائلته، إلى أن بلغه خبر نقل والده على جناح السرعة، إلى مستشفى فال دو قراس بفرنسا، وعندما سافر إليه كانت هناك جماعة التنظيم ترصده لاختطافه وجماعة أخرى تود اغتياله، إلا أن الحظ لم يحالفهم، والفضل يعود للمخابرات الأمريكية التي تدخلت في الوقت المناسب وأفشلت مخططهم، وخطفت آدم وسط ذلك الصراع الذي أدى إلى مقتل زوجته، ونقله بسرعة تامة إلى قلعة أميرويا التي هي عبارة على ثكنة عسكرية متمركزة في صحراء الربع الخالي العربية، لمراقبة تدفق النفط وعبوره نحو أوروبا وأمريكا، وعندما وصل آدم إلى هذه القلعة التي أمضى فيها خمس سنوات والتي يترأسها "ليتل بروز" الذي خرج من "حرب الرمادي" مبتور الأعضاء؛ "ذراعه. رجله. عضوه الذكري" والذي لزم الطابق السابع في الغرفة البيضاء من القلعة، التي من خلالها يراقب كل

دقيقة، إذ يرى الكل ولا أحد يراه، والصورة الوحيدة التي سربها صحفي عنه كلفته سجنًا وغرامة مالية، والذي تذكر الرواية أنه متواطئ مع التنظيم والطوارق ومن وفر لهم الظل في المتاجرة بأعضاء العرب والتهريب.

إلا أن آدم تحول في هذه القلعة، من عالم حر طليق إلى سجين، فلم يجد إلا ذكرياته التي تعلق جراح الوحدة والألم، من جراء وضعه الذي بقي سيئًا ولم يتغير إلا بتدخل منظمة "الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة للزوال" الغربية والتي تمثلها "إيفا" التي تحولت من مدافعة عن حقوق الإنسان إلى عاشقة لآدم، حيث مكنته من استرجاع بعض حقوقه وأعادت له الحياة في قلعة لاشيء فيها يدفع للحياة.

كان الدافع وراء أسر آدم حصول أمريكا على المنجز النووي الذي تبناه وتهاون في إنجازه، إلا أن آدم اشترط عليهم قبل البدء في المشروع؛ أن يمكنوه من رؤية زوجته؛ أو التواصل معها لأنه لم يكن على علم بمقتلها يوم حادثة المطار، فمكنوه من ذلك بفضل خدع التكنولوجيا، و بالاعتماد على الشريط الافتراضي الذي كثيرا ما يستخدمه العساكر، ليعود بعدها "آدم" إلى المخبر لإتمام مشروع قنبلة الجيب" البوكيت بومب " برفقة جملة من العلماء، فتمكنوا من إتمام مشروعهم الذي تمخض عن فكرة نبيلة؛ وهي نصرمة المظلوم وردع الظالم، وذلك من خلال سعيهم إلى التقليل من انتشار الهالة النووية، التي يخلفها الانفجار، وحصرها في مكان ضيق لتخفيف المضار على الإنسانية، إلا أن الحظ حالفهم في الانتهاء من صنع القنبلة ولكن لم يحالفهم في التضييق من الهالة النووية، التي خيبت أمل العلماء؛ ولكنها سرت أمريكا كثيرا بهذا المنجز العربي العظيم الذي لم يكن بالحسبان.

لنعمد أمريكا بعد نشر سمومها في الأراضي العربية وحصولها على المبتغى، إلى تفريغ القلعة وإخلائها من المقيمين فيها، باعتبار أن دورها انتهى، والاكتفاء بالقاعدة البحرية والأقمار الصناعية، التي تطورت لدرجة أنها أصبحت ترى التفصيل الصغير، والاعتماد أكثر على الضربات الإستباقية بالطائرات من دون طيار، التي تكفي لحراسة آبار النفط

والمصافي، وجعل هذه القلعة قبرا للعرب وكل من انتهى دوره بالنسبة لها و لما تبقى من العرب، وذلك بتفجيرها بسلاح العالم العربي بعد أن تدافع العرب نحوها للاحتماء بحصونها.

أما آدم فكان مصيره بعد الانتهاء من المشروع وإعطاء أمريكا ما سعت وراءه، الضياع والتشتت بين بلد أنجبته وأخرى احتوته لتستغله أبشع استغلال، ولكنه على أرض وطنه وفي أحضانها تعرض للاعتداء، الذي جعله غارقا في دمه حاله حال بني جلدته، وبينما كان يصارع الموت وقبل أن يحضر من ينجده، لمح سماء قريبة كان الأطفال يرمونها بالحجارة، فكسروا زجاجها فتشقق وتظل الشرخ يتسع، إلى أن أصبحت السماء فجوة سوداء، ثم دوي انفجاريين لتتشب نيران عالية وأدخنة شديدة السواد يتخللها بصيص نور وأمل ضئيل...



قائمة

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- واسيني الأعرج، حكاية العربي الأخير 2084، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2015.
- 2- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ط2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا.
- 3- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تق: نصر الهوريني، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007 .
- 4- ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مادة: ثقف، م7، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، أعمال ندوة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، 1998.
- 6- فخري صالح، دفاعا عن إدوارد سعيد، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، 2000.
- 7- محمد الشيخ، المثقف والسلطة-دراسة في الفكر الفلسفي المعاصر؛ ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1991.
- 8- محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، إفريقيا الشرق، الرباط، 1988.
- 9- مصطفى عمر الفاروق، التابوهات المقدسة، ط1، دار ليلي، القاهرة، مصر، 2010.
- 10- عبد الوهاب بوشليحة، إشكالية الدين-السياسة-الجنس في الرواية المغاربية.

قائمة المصادر والمراجع

- 11- عبد الرحمان أبو عوف، القمع في الخطاب الروائي، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسان،
- 13- بلقير عبد الإله، نهاية الداعية- الممكن والممتع في أدوار المثقفين-، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2000 .
- 14- أحمد عبد الحليم عطية، نقد المجتمع الأبوي- قراءة في أعمال هشام شرابي-، ط1،
- 15- أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، م3، ط1، بيروت، لبنان، 1999. بيروت، لبنان.
- 16- أبو نصر الفراء، كتاب السياسة المدنية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 17- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.
- 17- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984.
- 18- يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996. _ محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط:3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1988.
- 19- ملود ديدان، مباحث في الدستور السياسي، ط1، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2005.
- 20- مصطفى النشار، تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
- 21- محمد نصر مهنا، في تاريخ الأفكار السياسية وتنظيم السلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999.

قائمة المصادر والمراجع

- 22- علي حيدر إبراهيم، المثقف العربي نحو دور فاعل، ندوة الثقافة العربية وتحديات المستقبل، الشارقة، 1996.
- 23- محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، ط1، مجلة دبي الثقافية، دار الصدى، 2011.
- 24- محمد الشيخ، المثقف والسلطة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1991.
- 25- غادة السمان، القبيلة تستجوب القتيلة، الأعمال غير الكاملة 12 .
- 26- علي شريعتي، مسؤولية المثقف، تر: إبراهيم الدسوقي، ط1، دار الأمير، بيروت، لبنان، 2005.
- 27- ميشال فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، التنوير، بيروت، لبنان، 1990 .
- 28- عبد المنعم حنفي، المعجم الفلسفي الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2000.
- 29- عبد الله معمر، تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007 .
- 30- عبد الخالق عبد الله، حكاية السياسة، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.
- 31- جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين-قرآن كريم، تح: صبري 32- محمد موسى وفايز كامل، ط3، دار الخير للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2003.
- 33- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، ط1، دار الفجر، القاهرة، مصر، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

- 34- السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2004.
- 35- اسماعيل زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 1999.
- 36- أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية الغربية روايات حيدر نمودجا دراسة تطبيقية، ط1، مدرسة النقد المعاصر، كلية الآداب، جامعة حلب، سوريا، عالم الكتب الحديث، 2011.
- 37- أرسطو طاليس، السياسة من الشرق والغرب، تر: أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة والنشر، الرياض.
- 38- جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابيش، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1973.
- 39- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب.
- 40- فرديريك أنغلز، أنتي دوهرنغ- ثورة الهداوجين، تر: فؤاد أيوب، ط1، دار دمشق، سوريا، 1965م.
- 41- محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الأبيار، الجزائر، 2003.
- 42- ميكيا فيلي، المطارحات، تر: خيرى عماد، ط1، المكتبة التجارية، بيروت، لبنان.
- 43- إدوارد سعيد، خيانة المثقفين، تر: أسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2011.
- 44- أنصار بيبر، الإيديولوجيا والمنازعات والسلطة، تر: إحسان الحصني، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1984.

قائمة المصادر والمراجع

45- جورج لوكاتش، الرواية كملحمة بوجوازية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1979.

46- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.

47- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1959.

48- كاترين كيربرات-أوركيني-، المضمر، تر: ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2008.

49- اسعاف حمد، المثقف العربي وإشكالية الدور الفاعل، جامعة دمشق، المجلد: 30.

50- ياسين بوعلي، الثالوث المحرم، ط: 2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1978.

المجلات والمذكرات:

1- إبراهيم حسن، الرواية العراقية ووعي الحاضر، مجلة أقلام، العدد: 10، تموز 1978.

2- عصام الدين عبد السلام محمد إبراهيم أبو زلال، التعبير عن المحذور اللغوي، والمحسن اللفظي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، القاهرة، 2001.

المواقع الإلكترونية:

1-fatwa.islamweb.net

2-https://ar Wikipedia.org

3-Https.islamqa.inf

4-Https//islamstory.com

5-mawdoo3.com

قائمة المصادر والمراجع

6-www.alukah.net

7-Wwww.ikipedia.non dit.com

8- fatwa.islamweb.



فهرس الموضوعات



أ	مقدمة
5	الفصل الأول: الثقافة والمسكوت عنه
6	1- الصيرورة الاجتماعية لكلمة ثقافة
9	2- مفهوم المثقف
10	أ- في اللغة
11	ب- في الاصطلاح
12	3- دور المثقف وفاعليته
16	4- السلطة وبداياتها
18	5- المسكوت عنه
20	6- دوافع الإضرار
26	الفصل الثاني: المسكوت عنه السياسي
75	الفصل الثالث: المسكوت عنه الديني
101	الفصل الرابع: المسكوت عنه الجنسي
102	-توطئة
104	1- المرأة الغربية وعلاقاتها
113	2- المرأة وطموحاتها
115	3- العلاقات الجنسية الأخرى
121	-خاتمة
125	-ملحق
126	1- نبذة عن حياة الروائي
128	2- ملخص الرواية
132	- قائمة المصادر والمراجع
138	- الفهرس

ملخص المذكرة:

من رغبة التمرد إلى لانهاية الحكي، هكذا ظل الكاتب واسيني الأعرج يخوض في الممنوع ويعمل على كسر التابوهات، ويتخطى عوالم المعتاد والمفروض، بقلب ثابت وروح محاربة ساعية للتطوير والتغيير بسيل من الحبر ورأي من ذهب، دون أن يكثرث للمغالطة والتكفير فجعل من الدين، والسياسة، والجنس، مادته الدسمة الأكثر تجليا في عمله الأدبي والأكثر خصوبة له، من أجل إيصال صرخته المقهورة عن الأوضاع العربية المزرية بدءا من الخليج إلى المحيط، جاعلا صرخته صرخة جريئة محملة ومتقلبة بالصدمات علها توظف النشيج الداخلي للحكام والعرب أجمع. ولعل تمرده وتميزه بالجرأة الزائدة كان وراء ريادته للكتابة في هذا المجال، وذلك من خلال كشفه للمخفي وفضح المستور، وخوضه بقلب ثابت وبلغة جريئة في المحظور والمسكوت عنه.

Résumé de la recherche:

Du désir de la désobéissance jusqu'à l'infini de raconter , l'écrivain «wassini el_aredj» est resté dans le chemin des interdictions .

IL a fait de son mieux pour briser les «tabous» il dépasse le monde quotidien du réel et de la vie normale. d'une cœur serein et d'une âme combattante dans le but d'éclaircir et de changer par une plume d'encre et d'un point de vue d'or.

Sans se soucier au saphisme et à l'expiation, il a fait de la religion , de la politique et du sexe sa matière grasse la plus claire dan sou travail littéraire et la plus grande fécondité, de sorte de joindre sa joie opprimée sur les situations perturbées des arabes .

IL a commencé du golf à l'océan, faisant de son appel, un appel audacieux portant son poids sur les chocs dans le but d'éveiller les âmes intérieure des «chefs» et des «arabes» entiers .

Peut être son désobéissance et sa distinction d'audace illimitée sont derrière son initiative d'écrire dans ce domaine, de sorte qu'il a demasqué les points cachés et a révélé des secrets.

IL est resté d'un coeur sûr sans réfréner la langue des interdictions et des nons dits.